الثقافة

مجلة فكرية جامعة تصدر في دمشق

السنة
الرابعة

أول مايس «مايو» العدد الثاني عشر ١٩٦٢

العدد الثاني عشر
ايار (مايو)
١٩٦٢
السنة الرابعة

الثقافة
مجلة ثقافية أدبية شهرية
دمشق – ص٠ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

ماذا في المجلس الأعلى

لن نتحدث اليوم الى لجان المجلس الاعلى كلها فالحديث في هذا الموضوع حديث طويل وانما نود أن نخص فئة طالما وقفنا منها موقف الاخ والصديق وان كان في حديثنا لها بعض الغلظة بين الحين والحين ٠

أجل نريد أن نتوجه بالحديث اليوم الى لجنة الشعر ومقررها في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ٠ هذه اللجنة التي شاءت أن تصم آذانها عن سماع كل نداء وأبت الا أن تعمل ما يحلو لاعضائها وحدهم دون سائر شعراء هذه البلاد كأن الزمن ـ كما قلنا لهم من قبل ـ لم يتمخض ولن يتمخض عن شاعر سواهم فكانوا وما زالوا هم الاولين والآخرين ٠

وليس على الله بمستبعد   أن يجمع العالم في واحد

ونحن عندما نتعرض لذكر لجنة الشعر في المجلس الاعلى نجد أنفسنا ـ وعلى الرغم منا ـ مضطرين لان نستعرض تاريخ هذه اللجنة منذ نشأتها ومنذ تأسيس المجلس الاعلى ، ونسأل أنفسنا ماذا فعلت ؟ وماذا قدمت للشعراء ؟ أجل لقد قدمت الكثير الكثير لا لشعراء هذا البلد ولكن لافرادها ٠

ألم تجعل لجنة الشعر مهرجانات الشعر وقفا على أعضائها ؟

وفي المهرجان الثالث الم تجعل من نفسها حكما لتقييم قصائد المهرجان حتى ظهر بالشكل الذي دعا الى ارتسام الابتسام على وجوه الناس ومما دعا الكثيرين الى العزوف عن الاشتراك في المهرجان اباء وشمما ؟

←

وبعـد ! فماذا قدمت لجنـة الشعر بعـد مضي ثـلاث سنوات أو أكثر على تأسيس المجلس ؟ هذه أسئلة لا نريد الاجابة عليها فنحن أدرى بها ولا نريـد أن نتحدث عن هذه الامور طويلا فالناس كلهم على علم بها • وانما نود أن نتحدث عن نوع آخر من الاثرة خصت لجنة الشعر بهـا نفسها • فقـد تناهى الى أسماعنا أن اللجنة الفاضلة قررت في جلستها المنعقدة بتاريخ ٦-١٢-١٩٦١ تكليف أحد أعضائها بجمع ديوان شعر قومي لعدد من الشعراء لقاء مبلغ قدره أربعة آلاف ليرة سورية • ومنحت عضوين من أعضائها الفي ليرة سورية لقاء الاشراف على طبع ديوان المرحوم محمد البزم • كما اسـندت للعضوين نفسهما الاشـراف على المواسم الثقافية لقاء تعويض حددته اللجنة الفاضلة • هذا بالاضافة الى التعويض عن دراسة الكتب وقد جعلته وقفا على أعضائها أيضا ، وبالاضافة الى تعويض الجلسات المتلاحقة ، تلك الجلسات التي ما كان من ثمارها الا تبادل المنافع والعواطف •

ولا بد لنا الآن من أن نسأل وزارة الثقافة والارشاد كيف وافقت على تكليف العضو بجمع ديوان الشعر القومي لقاء هذا المبلغ الباهظ وهي نفسها التي كلفت من قبل الاستاذ نديم محمد بهـذه المهمـة ولا يزال التكليف قائما حتى الآن ؟ ولا نعتقد أن الوزارة أرادت من وراء ذلك تنافس الشاعرين •

ولنعد الآن الى اللجنة الفاضلة التي نسيت أن مبلغا كهذا كاف لطبع أربعة كتب من كتب أدبائنا الشباب أولئك الذين كادوا أن يقفوا موقف الاستجداء على أبواب دور النشر في لبنان وغير لبنان ، وأن هذا المبلغ يكفي لمجموعة من الشباب لكل منهم من الامكانيات ما للعضو الفاضل ان لم يفقه في هذا المضمار ، هؤلاء الشباب الذين لو منحوا مثل هذا المبلغ لكفاهم مؤونة استدانة قيمة الورق لكتبهم التي وضعوا فيها طموحهم وأجمل آمالهم وأرادوا أن يكونوا فيها من أفراد أمتهم العاملين •

نعم يا أعضاء لجنة الشعر في المجلس الاعلى ، نعود لنقول لكم :

ليست المهمة الملقاة على عاتقكم بالامر السهل الذي تظنون ، ولا يعني وضعكم في هذه المكانة أن تنحصر أعمالكم في تبادل هذه المصالح بينكم متناسين أن في هـذا البلد أدباء تيسر لهم من الثقافة والقـدرة على الانتاج وسعة الاطـلاع ما لم يتيسر للكثير من الذين قبعوا في قواقعهم المغلقة لا يرون فيها الا أنفسهم •

وبعـد : فهذه الامور التي نتحمل مسؤولية نشرها اليوم ومسؤولية ما سننشره من أمور أخرى ، نضعها بين يدي الوزير الشاب الدكتور عبد السلام العجيلي بصفته رئيسا للمجلس الاعلى ليرى فيها رأيه •

ونحن الذين عقدنا كبير الامـل على السيد الوزير لا نعتقد الا أنـه سيجعل لهـذه الامور حدا ، وأن تفهم بعد ذلك لجنة الشعر في المجلس الاعلى مهمتها التي أسندت اليها والغاية التي أنشئت من أجلها •

مدحة عكاش

الزهاوي الشاعر القلق

بقلم الدكتور: يوسف عز الدين

١ ــ عصر الزهاوي :

عاش الزهاوي في عصر قلق مضطرب اهتزت مثله وتقاليده وعاش بين قرنين متغايرين ، القرن التاسع عشر الخامد المتحجر ، والقرن العشرين المضطرم المتوثب فقد شاهد الهدوء والثورة وتأثرت نفسه المرهفة الشاعرة بالنقلة الجديدة ٠

فقد عاش في العصر التقليدي الموروث ، وما فيه من ركود وهمود ، ورأى عصر الدستور العثماني وماصاحبته من ضجة حين اعلانه وفرحه عند نشره ، وأحس بالخيبة التي اعتورت الناس عندما استأثرت جمعية الاتحاد والترقي بالحكم وبالخيرات دون أن يكون لشعوب الامبراطورية العثمانية أي نصيب ٠ ثم كانت النتيجة تقسيم الامبراطورية العثمانية ودخول الحلفاء بلاده ، وما جر هذا الاحتلال على البلاد من ويلات وثورات جرت الى تأسيس دول وامارات ، وكان العراق أحد هذه الدول ٠ ولم يرض العراق بالاستعمار فثار ثورته سنة ١٩٢٠ وكان من جرائها دخول الملك فيصل العراق وسلسلة من المعاهدات كان يفرضها الحاكمون ويرفضها الوطنيون ٠٠

انه عصر حافل بالاحداث السياسية ٠٠

وقد صاحبت هذه الاحداث ، أحداث فكرية واجتماعية هزت المجتمع ، وفتحت الاذهان على مثل جديدة ، واكتشافات حديثة ، وآراء غريبة عن المجتمع ، فقد أخذ المثقفون يتحدثون عن نظرية النشوء والارتقاء ، وعن دارون ، وعن الديمقراطية ، والاشتراكية ، والفاشستية ، وغير ذلك من التعابير الجديدة والمفاهيم الغريبة ٠٠ وسمع الناس صيحات تطالب باطلاق حرية المرأة ، ومساواتها مع الرجل وكان من جراء الحرب الاولى مطالبة الشعوب الضعيفة بالحرية والاستقلال وتقرير حق المصير ، ونشر مبادىء ولسن المعروفة ٠٠

انه عصر طافح بكل جديد وموار بكل حديث وحديث ٠٠

وقد كان لهذه الآراء ، وهذه الاحداث صداها في النفوس وفي التفكير ، فأخذ بعض المفكرين في مؤازرتها ونشرها بين الناس ، ونشطت بعض الآراء لمقاومة هذه التيارات الجديدة ولم يكن النشاط أو المقاومة وقفا على أمة من الامم أو على جانب من الكرة الارضية ، فقد تغنى العرب بالحرية وتغنى بها أحرار الاتراك مثل نامق كمال وكان القصد ايقاظ الامم من سباتها الذي طال أمده ، واذا نادى قاسم أمين بتحرير المرأة في مصر فقد كان صدى هذه الدعوة يتردد في جنبات العراق ، وحدث فيه ما حدث في مصر من تأييد للفكرة ومعارضة قوية لها ٠

وقد شهدت الدنيا حركات عنيفة وثورات سياسية واجتماعية ، واجتاح التيار القومي أكثر بقاع العالم ، وكان من أثر هذا التيار ابتعاد العرب عن الدعوة الى الجامعة الاسلامية ، ونشاط انصار الجامعة الاسلامية لتأييد دعوتهم والذب عنها بالخطب تارة وبالكتب مرة أخرى وبالدعوة الى أحياء مجد القرآن الكريم والسير تحت راية الدولة المسلمة التي أخذت تهاجم من الكفار وأعداء الدولة الكافرين ٠

وفي هذا العصر تظهر الدعوة القومية العربية قوة عارمة يصحبها دعوة الى انشاء امبراطورية عربية تضم شمل العرب في أقطارهم المختلفة ، فتداعب أحلام العرب وتبسم آمالهم وأمانيهم لاستعادة الامجاد العربية القديمة، فبعثت هذه الدعوة القوة في النفوس والعزيمة في مناهضة الاجنبي مستمدة من التاريخ العربي والاسلامي روح الكفاح والجهاد ، خاصة وأن الدستور العثماني قد أعلن على أسس الحرية والعدالة والمساواة بين شعوب الامبراطورية العثمانية فيتألف حزب جديد من أعضاء مجلس الامة (المبعوثان) العرب باسم الحزب العربي لرعاية حقوق العرب في البلاد العربية وغير البلادالعربية٠

وفي مثل هذا العصر تظهر روح المجازفة في روح أبنائه ، وتظهر الرغبات الكامنة في النفوس فيسير بعضهم في ركاب الحركة الجديدة ، ويعتري آخرين اليأس والخيبة لانهم لم يفوزوا بأمانيهم ٠ وفي مثل هذا العصر تهيمن الفوضى الفكرية ويظهر القلق الروحي والاضطراب النفسي بين الافراد ، لانهم يرون مثلهم التي عاشوا عليها قد انهارت أمام أعينهم ٠ وقد كان أثر هذا القلق ظاهرا على شعراء العرب فانعكس في شعرهم ٠

٢ ـ الزهاوي والعصر العثماني :

وقد كان موقف الزهاوي واضحا فقد آزر السلطان عبد الحميد ومدحه والف كتاب (الفجر الصادق) يدعو الناس الى الجامعة الاسلامية لان الفكرة الاسلامية كانت مسيطرة بسيطرة الدولة العثمانية ، ودعا الناس للسير تحت راية العثمانيين واعتبر من لا يسير تحت هذه الراية ملحدا أو كافرا وباغيا وهاجم الحركة الوهابية واعتبرها حركة الفرقة الهالكة لانها شقت عصا الطاعة على الدولة العليــة وأوجب تدمير هــذه الفرقــة التي نقضت بيعة السلطان وخرجت على طاعته . ودعا صراحة الى أن شروط الخلافــة ليست ضرورية ولــم يكترث بالشروط التي وضعها المسلمون للخليفة من العلم والفضل والخلق لانه كان يريد ارضاء السلطان ويخشى شره ويتقي أذاه ولكن هذا الخوف أخرجه عن مثله العليا اذ خلق من السلطان عبد الحميد انسانا شبيها بالاله ، فجعل جميع تصرفاته فوق الشك وسياسته المثل الاعلى التي يجب أن تحتذى وبعزمه وحده يحفظ الاسلام ، وبقوته ينشر الاسلام . فقال في افتتاح (فصل يلدز) :

ســلام البــرايا في كلاءة أحمــد
بيلــدز لا يغفــو ولا يتغيب
وان أمــــير المؤمنـــين لوابــل
من الغيث منهل على الخلق صيب

وقــد افتتح فصل (الخليفة الاعظــم ايــده الله) بقولــه :

سياسة مولانــا الخليفــة مخــذم
يفل بــه الامــر العسير ويحســم
لقــد سـعدت أمنا بــلاد وسيعة
بعــدل أمــير المؤمنين تنظــم
لقــد دام محفوظ الجناب مآثــر
أضاءت على الآفــاق منهن انجــم
وقـــد بعث الله الخليفــة رحمــة
الى الناس ان الله للناس يرحــم
ففي عهده قــد أصبح الملك عامرا
بــه الامن يزهو والاماني تبســم
هــو الملك البــر الرؤوف بامــة
أنــار هــداها والامــام المعظــم
أقــام بـــه الاديان أركــان دينــه
فليست على رغــم العدى تتهــدم

وقد كان شعراء هذا العصر وما قابله يعتبرون الخليفة العثماني رمزا للوحدة الاسلامية وكانوا يشيدون بأخلاقه وفضائله ويرفعون ذكره وجعلوه ظل الله في أرضه فهو الذي يحمي بيضة الدين ويدافع عن المسلمين ويقاتل المشركين والكافرين وكان الزهاوي أحد هؤلاء الشعراء وسار على ما تقضيه أمور السلطة .

٣ ـ احتلال العراق :

وتتوالى الاحداث على العالم العربي ويحتل العراق، وتظهر دعوات جديدة فيه من أجل نظام الحكم المقبل في ظل الاحتلال ، فقد قامت جماعة تنادي ببقاء الانكليز في العراق وقامت جماعة أخرى تدعو الى الجمهورية ونادت جماعة أخرى بالملكية واختلفوا فيمن يحكم البلاد هل النقيب أم الشيخ خزعل أم أغا خان ورشح آخرون أحد أبناء الحسين وقد كان مصير البلاد بين حفنة من الناس لا تهمها غير مصالحها تتنازع بعيدة عن الشعب وعن غاياته وأهدافه ولا يعرف الشعب عامة بما يحدث وما تتقاذفه من التيارات . وفي هذا الخضم الزاخر بالاحداث تطالعنا جريدة العرب التي كان يصدرها الاحتلال بقصيدة بتوقيع (شاعر عربي) يقول فيها الشاعر المتخفي :

أحب الانكليـــز وأصطفيهــم
لمرضي الاخـــاء مــن الانـــام
جلوا في الملك ظلمــة كــل ظــلم
بعــدل ضــاء كالبـــدر التمــام

ويهاجم الاتــراك مهاجمة عنيفة ويذكــر مآسيهم وكيف انهم سلبوا حقوق العرب ويندفع بحماسة وحرارة ويقول :

تبصــر أيهـــا العـــربي واتــرك
ولاء التــرك مــن قــوم لئـــــام
ووال الانكليز رجـــال عـــدل
وصــدق في الفعــال وفي الكـــلام
وأنت تســومك الاتـــراك خســفا
وتسـلب مــن حقــوقك باهتضام

ولما بحثنا عن قائلها وجدناه الزهاوي فقد نظمها ونشرها في ديوانه الكلم المنظوم ســنة ١٩٠٩ ولــم نكن نلومه لولم يعــد سبكها ونشرها ســنة ١٩١٨ ويعجب القارىء كيف وقف من الاتــراك هــذا الموقف وانقلب عليهم .

لا شك أن القلق النفسي الذي استحوذ على الشاعر هو الذي دفعه الى هذا التناقض دفعا . فقد كان الزهاوي مكرما وكان عزيزا وكانت لــه منزلة سامية رسمية ، زمن الدولة العثمانية وعندما دخل الانكليز العراق خشي ان يفقد مكانته وخشي اذى السلطة الجديدة الحاكمة وقد هدد فعلا بالاعتقال باعتباره من رجال الدولة العثمانية المرموقين وبالنفي الى الهند لكنه أثبت أنه كان مراسلا

لجريدة (المقطم) الموالية للانكليز فعفي عنه ٠ ولكنه لم يصل الى ما وصل اليه في العهد العثماني وانما أهمل شأنه ، وبذلك كتبت في نفسه غريزة التقدم والظهور في المجتمع الجديد ، وفقد غريزة التأكيد على النفس ٠

كان رد الفعل في نفسه عميقا ، وكانت معركة حامية الوطيس ، بين موالاة السلطة الجديدة وبين التأكيد على الذات ، فغلبته الغريزة لان جذورها كانت عميقة في نفسه وتطمئن رغباته ٠٠ لم لا يحصل على مركز اجتماعي أعلى من المركز الذي حصل عليه في الدولة العثمانية ؟ فقد كان نائبا عن بغداد ونائبا عن المنتفق ، ولم تكن في العراق مناصب مرموقة تتمشى وغروره غير الوزارة ٠ فلم لا يكون وزيرا في وزارة النقيب الاولى ، وقد أصبح فيها وزيرا من لا يساويه في العلم والشهرة والمقام الاجتماعي ؟! ان عدم حصوله الى ما تطمح اليه نفسه كان اهمالا لقدره وطعنا في ذاته ، وتجاهلا لمكانته ، فظن الزهاوي بأنه أصبح كما مهملا وانه سيفقد احترام الناس وتقديرهم له ٠ والمرء حريص على تقدير المجتمع واحترامه، وعدم حصوله على المنصب الرسمي معناه اندحار واحتقار له ، فتسرب القلق الى نفسه والخوف الى ذهنه ٠

كانت معركة نفسية انتصرت الغريزة فيها ودفعته الى مدح الانكليز ونسيان كل أيام الاتراك ومناصبهم في البرلمان أو في تحرير جريدة الزوراء الرسمية ، أو في حصوله على الوسام المجيدي ٠

كان الزهاوي رحمه الله يتدفق حيوية ونشاطا وكان شابا متوثبا رياضيا يغتصب اعجاب الاقران ويتفوق عليهم فقد ألفت نفسه التقدم صغيرا لنشاطه وذكائه ، وحاطت به هالة من التقدير والاحترام لانه كان ابن مفتي بغداد وزادت مكانته الرسمية عندما فاز بالنيابة في البرلمان العثماني مرشحا عن جمعية الاتحاد والترقي وهي السلطة الحاكمة ٠ فالقوة والمركز الرسمي ومركز الاسرة، أمور أكدت ذاته حتى أنه برز بين أخوانه نواب العراق وتميز عنهم عندما تبنى القضايا العربية وطالب بجعل اللغة العربية لغة رسمية في العراق أسوة بما هو في الشقيقة العربية سوريا فنال التقدير والاحترام وحف النواب العرب وغيرهم به تقديرا واعجابا ٠

أراد الزهاوي أن ينال مثل هذه المكانة في هذا العهد بعد أن تفرقت أشلاء الامبراطورية ودخل العراق في حوزة الانكليز ٠ وقد أراد اثبات ذاته فهرع الى المحطة مع الناس ووقف خطيبا في استقبال حاكم العراق السير كوكس وأوغر صدره ضد الثورة العراقية (١٩٢٠) وكانت في أتونها تسعر ٠ كما ساند عبد الرحمن النقيب وحزبه (الحر المعتدل) وانضم اليه كما انضم من قبل الى الاتحاد والترقي آملا أن يحوز منه ما حاز في الماضي ، غير ان سياسة الحزب لم تكن على أسس شعبية وما استهدفت مصالح الشعب لانها كانت تسند عبد الرحمن النقيب الذي استند عليه الانكليز لجعله واجهة يتسترون وراءها في حكم العراق ، مغتنمين كبر سنه وسمعة أسرته الدينية ومنزلتها بين الناس ، ولكنهم سرعان ما نبذوه لانه لم يسر في الخط الذي كانوا يرسمونه له ، ووجدوا من يقوم بخدمتهم وخدمة مصالحهم ٠

كان الزهاوي يترقب قلقا واجفا الحصول على وظيفة وقد رضي عنه الانكليز واعتبروه شاعرهم وجاء عبد المحسن السعدون زميله في مجلس المبعوثان الى الحكم فعينه سنة ١٩٢٥ عضوا في مجلس الاعيان ٠

تظافرت كل عناصر القلق على الزهاوي تقدم في السن ، وخور في القوى ، وأمراض وشلل ، وبدت أعراض المرض تقوى وتشتد عليه فلا يكاد يمشي منفردا خوف الاكباب والسقوط ٠ وخيبته من الملك فيصل عندما هرع يحيه بقصيدته المشهورة :

انا محيوك فاسلم أيها الملك
ومصطفوك لعرش زانه الفلك

ويهدي ترجمته لرباعيات الخيام له فيطلق عليه شاعر الملك ، ويخصص له راتب قدره ستمئة روبية يرتفع الى ثمانمئة ، فيرفض الزهاوي ، لانه لا يريد أن يكون مجرد زينة في البلاط وانما يريد أن يكون له مقام اجتماعي ومركز رسمي يشعر بذاته وبكيانه وبقابليته وقال انه لم يرفض استكبارا وانما الشاعر الاجير لا يمدح عن شعور والواقع ان الزهاوي اعتذر ، مع انه بالغ في المديح وأوغل في الزلفى لانه يريد أن يكون مرموقا ويريد أن يكون في عمل يحترمه فيه الناس لا أن يكون زينة ٠

أراد الزهاوي أن يصل ويصل بسرعة فهادن الانكليز وسار مع الحزب الحر وهاجم الاتراك طمعا في اثبات ذاته وتأكيدا لشخصيته ، فأضاع الوفاء الذي حفظه الرصافي للعثمانيين ٠

٤ ـ ثورة الزهاوي :

ولما لم يتحقق للزهاوي حلمه رفع راية التمرد لاثبات ذاته ولتأكيد شخصيته فدعى الى تحرير المرأة بالعنف وبالقوة ودعا الى الفلسفة والى الاخذ بنظرية دارون وحشر نفسه في أمور كثيرة مثل نظرية الجاذبية وألف في الداما وفي الطير القلاب وغيرها من الامور لكي

يثبت انه عبقري وانه فيلسوف وانه عالم وانه يأتي بما لم يأت به غيره من الاقران .

والواقع ان دعوته الى الفلسفة وتحرير المرأة وما طالب به لم يكن الا انحدارا نفسيا للتأكيد على الذات فقد توهم بأنه مندحر والانسان حريص على أن يكون محترما وأن يكون محفوفا بالتقدير والفوز لذلك لما توهم بهذا الاندحار توهم بأنه أهين وان كرامته قد جرحت لذلك شكا بكل حرقة ولوعة للاستاذ أحمد حسن الزيات واستجداه الاحترام عندما قال له (اذيب عمري في شعري والامة تقذفني بالبهتان والحكومة تخرجني من مجلس الاعيان ..) فحسب الشعب والحكومة ضده فكان صدى هذه الخيبة ثورة في شعره يعتصرها الالم فقال :

افتحوا للفتى العظيم الطريقا
فلقد جاء يزبئر حنيقا

رافعا راية التمرد تهفو
حاملا من يراعه منجيقا

أرأيت أشد قسوة من هذه الثورة التي تريد أن تدمر عمياء كالمنجيق دون وعي لتطفىء غلة الزهاوي الذي لم يفتح له الطريق والذي منع من اثبات ذاته وفرض شخصيته فظن انه منع من التقدم وانه لم يقدر حق قدره فقال :

أيها الدائسون بالرجل حقي
ليس حقي بأن يداس حقيقا
قل لابناء يعرب ان في القبر
أباكم يذم هذا العقوقا
أخذت آمالي تضيع وأخشى
انني لا أرى لها تحقيقا

لم ينل الزهاوي ما يريده فسخط وثار وتألم لانه رأى غيره يتقدم في مناصب الدولة وقد تأخر عنها هو وبذلك لم تشبع رغبته في التقدم واثبات ذاته والتي برزت كثيرا في شعره .

وللحق والتاريخ ان الزهاوي كان أحسن بكثير ممن تسلموا وظائف الدولة المرموقة الثقافية منها وغير الثقافية ولكن اندفاع الزهاوي وتقلبه السريع وعدم رزانته ، حوائل حالت دون وصوله الى ما يريد ، فقد فت في عضد الوطنيين خلال الثورة العراقية . ثم راح يرثي الشهداء ثم هاجم الدخيل ومدح الاتراك ثم هاجمهم وهاجم الوهابية ثم مدح الملك السعود الوهابي .

ولما رأى أحلامه تنهار انكمش على نفسه وندب أيامه في ظل الحكم العثماني مستغفرا لما قدمه قائلا والحسرة تملأ قلبه :

أين عزي في دولة الاتراك
أنا مما فقدته أنا باكي
كنت بالامس راضيا عن حياتي
وأنا اليوم من حياتي شاكي

وليظهر قدرته وتبرمه وليثبت ذاته فسمى القصائد التي نظمها في الملك (المطرودات) ولسان حاله يقول :

قد مدحت الذين لم
يستحقوا مدائحي
أحسبوها على ضرور
تها من قبائحي

وتطول بالرجل أيام الانتظار فيرثي له اخوانه ويؤملون له الفوز ولكن تطول أيام الانتظار فيقول :

يقولون صبرا يا جميل على الذي
أصابك من ضيم واني لي الصبر
ولا بد من حرب على من تعصبوا
علي فأردى أو يفيء لي النصر
وكل امرء يسعى الى المجد جاهدا
ولكن طريق المجد أكثره وعر

وأراد أن يكسب الرأي العام ويؤكد أهميته فأعلن انه سيهاجر وانه يترك العراق لانه لم يأخذ المكانة اللائقة به فقد أضناه العذاب وأرهقه الاهمال ، وهاجم الدخيل الذي يستفيد وحده من خيرات وطنه وقال :

اني على الاوطان انفق مهجتي
أما الدخيل فأي شيء ينفق
قد يسكت المهضوم الا زفرة
منه والا عبرة تترقرق

هذا القلق كان كما رأينا نتيجة من نتائج المجتمع نفسه أثرت على الزهاوي نفسه وهو غريزة يصاب بها كل انسان وشدة الحرص نتيجة لما يعتورالنفس الانسانية وخاصة اذا كانت تتعلق بالمركز الاجتماعي لانسان تمتع بهذا المركز وأحيط بالاحترام والتقدير وقد صورت نفس الزهاوي القلقة آلامه أكثر من واقعها لرهافة حسه فظن الامر على غير حقيقته فقال :

قد تعذبت في العراق كثيرا
كنت في حبه أقاسي سعيرا
والذي فيه قد أطال عذابي
كان خصما على عذابي قديرا

وقد تصدت احدى الجرائد عندما أعلن رأيه له

وقالت انه عندما طلب جواز السفر منحته الحكومة اياه مع راتب لمدة سنة فأسقط في يديه ولم يسافر الا بعد ثلاث سنين فهل أراد أن يثبت ذاته للسلطة فلم يفلح فقال :

ان اعدائي في العراق كثير
كلهم فيه آخذ بخناقي
ساولي ربوع بغداد ظهري
تاركا خيرها لاهل النفاق

وتتجلى رغبته النفسية ومقدار ما يريده لنفسه في قوله :

قد رحلنا عن العراق جميعا
أنا والشعر والهوى باتفاق

وقوله :

ما عسى أن تفيد نفسي المساعي
ان قضت بالحبوط فيها الدواعي
أنا والحق في العراق مضاعا
ن ، وما فيه غيرنا بمضاع

٥ ـ الزهاوي والرصافي :

وقد زاد في قلق الزهاوي بروز عامل جديد فيحياته هو عامل المنافسة الذي لم يكن يحسه بهذه الحدة وانتشار أمره بين أصحاب الجرائد والمجلات الذين كانوا يريدون اثارته · والناس متى وجدوا ثغرة في ضعيف جسموها له واستغلوها حسب أهوائهم ورغباتهم خاصة والزهاوي لم يعد عضوا بمجلس الاعيان وظن المنصب الحكومي يزيد في تأكيد ذاته وشخصيته ، وقد استغلت الجرائد شعر الرصافي وقوته وقارنوا بين الشاعرين ، ولم يكن للزهاوي سند غير شعره الذي لا يضاهي شعر الرصافي وشخصيته التي لا تقوى على مجابهة شخصية الرصافي · فقد كان الرصافي شاعرا شابا قوي الاسلوب ، رصين العبارة ، ضخم الجثة ، مهاب الطلعة ، وكان الزهاوي مريضا ، مشلولا ، ضعيف الاسلوب ، مترجرج الشخصية ·

وزاد في قلق الزهاوي ، وضاعف أساه الحركة التي شنها أنصار الرصافي على الزهاوي · فقد كتب رفائيل بطي مقالا يمتدح به الرصافي ويقول بأنه أول من نظم الشعر القصصي ، فيثور الزهاوي الذي لا يرى غير نفسه شاعر العراق وعلامته ونابغته فكيف يفوقه الرصافي · فتظهر مقالة تهاجم كاتب المقال وتظهر الزهاوي بمظهر السباق وانه أول من نظم الشعر القصصي في العراق وتبالغ وتقول أنه (أسبق شعراء العرب) والطريف أن الناشئة الجديدة عندما تنشر المقال تقول أن الزهاوي أملاه على كاتبه وتشتد الخصومة وتكتب عنه قائلة ان الزهاوي دعا الفيلسوف الالماني انشتاين الى المبارزة و (قواعد المبارزة جذبا ودفعا ورباعيات ، ولا نخال انشتاين يتهور فيقدم على هذه المبارزة لان تلاوة رباعية واحدة كافية لصرعه في حلبة البراز) وقالت ان لجنة الطب الادبي قررت تلقيح الجرائد والمجلات بلقاح يقيها جراثيم الرباعيات ، وتذهب بعيدا في التهكم وتقول ان جامعة اكسفورد قررت ترجمة قصيدة الزهاوي الفلكية ليستظهرها الاساتذة المختصون ·

ويتصدى محمود أحمد ويرجع جميع آراء الزهاوي الى الشعراء والكتاب الآخرين ويأتي بأمثلة من نظم الزهاوي لآراء كوستاف لوبون ومنها (عجبا للحب يخاف الريب والشك ينميه واليقين يميته) فقال الزهاوي :

الحب بالشك يحيا
وباليقين يموت

ومن الشريف الرضي في قوله :

ساكت أنت والاعادي تقول
ومضر بك السكوت الطويل

فقد قال الزهاوي :

راحل أنت والليالي تزول
ومضر بك البقاء الطويل

ويتصدى ابن أخيه ابراهيم أدهم الزهاوي ويدافع عنه ويهاجم محمود أحمد ورفائيل بطي ويتدخل الادباء منتصرين لجانب من الجانبين ، فتقف مجلة (ليلى) الى جانب الزهاوي ولا تتأخر جريدة الامل عن المساهمة في المعركة وتؤدي نصيبها منها ·

ويصدر الزهاوي مجلة (الاصابة) قال عنها انها منار للنضال عن الحق في العلم والادب وانه ينازل فيها أنصار القديم الذي لم تعد فيه فائدة للامة التي تريد النهوض في القرن العشرين ، ولن يتساهل أو يرأف بمن يتشيع للباطل وسيصليهم حربا شعواء ··

وهناك قصص كثيرة من مثل هذه المعارك والمنافسات بين الشاعرين · كان يتدخل في اصلاح ذات البين بينهما اخوان الشاعرين والاخيار منهم ومن ذلك ما قام به الاستاذ محمود صبحي الدفتري مرة اذ جمع بين الاديبين وصالحهما ·

وقد بقي الزهاوي قلقا يتوقع أن ينال عملا وجل آماله كانت معقودة على العودة الى مجلس الاعيان غير أن القدر لم يمهله اذ توفي في شباط ١٩٣٦ ·

رحم الله الزهاوي فقد أتعب نفسه كثيرا ، ولكنه سجل في لوح الخلود ·

التشريعات الاجتماعية ومدى اهتمامها بالأسرة

بقلم : عبد العزيز الصرعاوي

نظرة المشرع الى الاسرة واهتمامه بها :

تهدف التشريعات الاجتماعية عموما سواء أكانت اقتصادية أو صحية أو تربوية أو غير ذلك من شؤون ومطالب هذه الحياة ، الى تنظيم أوضاع المجتمع وتوفير العدالة بين كافة أفراده وهيئاته مما يهييء الشعور لدى الجميع بالاطمئنان واشاعة روح التكافل والتجاوب فيما بينهم لمواجهة كافة متطلباتهم في هذه الحياة واشباع رغباتهم السامية في المزيد من التقدم والانتاج والتعاون وتحقيق الرفاهية والرخاء ٠

وما دام الفرد عاجزا عن تحقيق مطالبه بمفرده في هذه الحياة الزاخرة بشتى الآمال والرغبات مما يتحتم معه على الفرد ان يتعاون ويتعايش مع غيره الذي لا بد أن تكون له نفس الاحاسيس والرغبات ٠٠ فلا بد اذن من تصارع وتضارب هذه المصالح والمطالب المشتركة٠٠ ومن هنا تبرز أهمية التشريعات والنظم في التنسيق والتوفيق والضبط والاحكام لمواجهة كل هذه المصالح المشتركة المتضاربة ٠٠ فالتشريع اذن ضرورة لا بد منها لحفظ كيان المجتمع واشباع حاجات الافراد والجماعات بصورة يتحقق معها الانسجام والتعاون فيما بينهم ٠

ولما كانت الاسرة تكون النواة الاساسية لقيام المجتمع ـ لان المجتمع في حقيقته يتألف من مجموعة من الاسر وتتمثل في الاسرة ـ كوحدة اجتماعية متضامنة من الافراد ـ حقيقة الاوضاع والقيم والظروف السائدة في المجتمع ، فان التشريعات الاجتماعية الهادفة أساسا الى اشباع الحاجات والمطالب الاساسية لافراد المجتمع ، قد أولت الاسرة من العناية والاهتمام ما يحفظ لها هذه المكانة ويعطيها القدرة على مواجهة احتياجاتها ومطالبها من كافة الوجوه الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ٠

ومن المعلوم أن الاسرة في المجتمعات الحديثة لم تعد كما كانت في السابق ، ذلك ان الاسرة في المجتمعات البدائية البسيطة كانت تعتبر نظاما قائما بذاته تؤدي وظائف شتى لسد حاجة أعضائها وان تلك الاسرة لم تكن وحدة استهلاكية فحسب بل كانت أيضا والى حد ما وحدة انتاجية حيث كانت تقوم بسد مطالب افرادها من طبخ وغسل وتمريض وتعليم وتحكيم وتوفيق فيما ينشأ بين أعضائها من منازعات ٠ وكان كل فرد من أعضائها يتحمل نصيبه الكامل من هذه المسؤوليات ٠ وكان للاسرة بذلك سلطان كبير على جميع أفرادها ٠ أما الآن فالحال يختلف كثيرا في المجتمعات الحديثة ٠ فالاسرة في مثل هذه المجتمعات فقدت الكثير من خصائصها ووظائفها الاساسية اذ لم يعد أفراد الاسرة بصفة عامة يشتركون في عمل انتاجي واحد لان الاب قد يعمل في جهة والابن في جهة أخرى وكذلك الشأن بالنسبة للام ان كانت تعمل والابناء الآخرين وهكذا تفرقت بهم السبل مما أدى الى ضعف الروابط بينهم وبالتالي ضعف سلطان الاسرة وتقلصها كأداة اجتماعية ، وهذه نتيجة أدت اليها ـ ولا شك ـ طبيعة التطور وظروف الحياة في المجتمعات الحديثة ، وبسبب هذا الضعف في سلطان الاسرة كأداة اجتماعية قامت ـ بدافع الحاجة طبعا ـ مؤسسات أخرى لتشارك في تأدية الوظائف التي كانت تؤديها الاسرة وحدها كالمدرسة والنادي والنقابة ومراكز الثقافة وأماكن الترويح والتسلية ٠٠ الا انه مع ذلك وعلى الرغم مما أصاب الاسرة من تغيير وتبديل أدى الى وجود هذه المؤسسات الاجتماعية الهامة ، ودورها غير منكور في خدمة المجتمع ، فان دور الاسرة في تقدم المجتمع كذلك لا زال هاما وكبيرا باعتباره أن أفراد المجتمع انما يولدون في دائرة أسرتهم ويترعرعون في كنف آبائهم وأمهاتهم الذين يتكفلونهم بالاعداد والرعاية لخوض معركة الحياة الواسعة ٠٠ **فالاسرة اذن هي مصدر التناسل وتعاقب الاجيال ونقل تراثها وقيمها الثقافية والحضارية من جيل الى جيل ٠٠**

ولا تعارض مطلقا فيما تؤديه الاسرة وسائر المنظمات والمؤسسات الاجتماعية الاخرى من وظائف في خدمة أهداف المجتمع والنهوض به ٠ بل انها جميعها وفي مقدمتها بالطبع الاسرة تكمل بعضها البعض وتتبادل فيما بينها عملية التأثر والتأثير في اطار المجتمع العام ٠ وعلى هذا كان ارتباط الاسرة وثيقا بجميع المؤسسات القائمة في المجتمع من اقتصادية أو تربوية أو ترفيهية ٠٠ الخ وباتت الاسرة مسؤولة عن التعاون والتقارب فيما بينها وبين جميع هذه المؤسسات العامة في حقل المجتمع ٠

وهكذا فان الاهتمام بشؤون الاسرة واحاطتهابشتى صنوف الرعاية انما يمثل في الواقع حجر الزاوية في بنيان كيان المجتمع واصلاحه والنهوض به ودفع عجلة التقدم فيه خطوات الى الامام ٠ ومن هنا كان الدور الهام الذي تلعبه الاسرة في محيط المجتمع واهتمام المشرع بها ٠

اختلاف التشريعات الاجتماعية بتباين البيئات والمجتمعات :

وتختلف بالطبع التشريعات الاجتماعية من بلد الى بلد نتيجة لاختلاف الظروف والبيئات وطبقا لمراحل التطور والتقدم التي قطعتها كل دولة والاحتياجات التي تواجهها في مجتمعاتنا ، ذلك ان أي تشريع أو تنظيم اجتماعي انما يعبر في الواقع عن حاجة ملحة في المجتمع ويتجاوب مع الظروف والامكانيات في كل بيئة ٠ وعلى هذا فان التشريعات الاجتماعية والاجراءات الاقتصادية الخاصة بالاسرة قد لا تجد لها أثرا في عدد من الدول وقد نجدها في بعض الدول ولكن بصورة جزئية غير متكاملة ومبعثرة هنا وهناك ، بينما نجد بعض الدول الاخرى قد نصت في صلب دساتيرها على جملة أحكام للمحافظة على مستويات المعيشة والرفاهية العائلية كدساتير المكسيك وألمانيا والجمهورية العربية السورية ومصر ٠ وعلى أية حال فان الهدف من كل هذه الاحكام والاجراءات التي تأثرت ولا شك بالظروف المحلية لكل دولة من الدول ، انما هو دعم كيان الاسرة وحماية الامومة والطفولة حتى يمكن لهذه الاسرة ان تستجيب لمطالب الحياة واحتياجات أفرادها وبهذا تكون الاسرة عاملا فعالا في خدمة أهداف المجتمع ورقي أبنائه ٠

بعض صور الرعاية الاسرية :

وقد يكون من الصعوبة بمكان تحديد كافة صنوف الرعاية الاسرية المقصود بها الاخذ بيد الاسرة بصفة عامة وحصرها في اطار لا تتعداه ، ذلك ان الحاجة والظروف هي التي تحدد نوع الرعاية والتشريع الاجتماعي المطلوب٠ بل ان مجالات الحياة وأهدافها المتعددة المتشعبة لا تزال توسع من دائرة هذه الرعاية الاجتماعية طبقا لما يستجد في هذه الحياة من مطالب واحتياجات ٠٠

ومع هذا فانه بالامكان ــ على سبيل المثال ــ ايراد بعض نماذج من الرعاية الاجتماعية الموجهة الى الاسرة كوحدة اجتماعية يقوم فيها الاباء والامهات برعايةأبنائهم واعالتهم ٠٠ مما يبين بالتالي اتجاهات وأحاسيس المشرع في بعض الدول على اختلاف ثقافتها وظروفها الاقتصادية والاجتماعية لمواجهة احتياجات ومطالب الاسرة مماينعكس أثره ولا شك في صالح الجماعة وتقدم المجتمع ٠

ولعل أبرز هذه الاتجاهات تلك التدابيروالاجراءات التي تتعلق بالمحافظة على دخل الاسرة وتقويته من ناحية وتلك المتعلقة من ناحية أخرى بتوفير السكن وتخفيف أعبائه ومن ناحية ثالثة الاجراءات والتدابير الخاصة باتاحة فرص التعليم لافراد الاسرة ٠

وسنتناول فيما يلي بعض الاحكام الخاصة بهذه الاجراءات في بعض الدول مع الاشارة الى ما هو متبع في دولة الكويت في هذا الشأن حفاظا على تدعيم الاسرة ورعايتها :

أولا ــ الاجراءات الخاصة بالمحافظة على مستوى دخل الاسرة :

ان مقدار الدخل الذي تحصل عليه الاسرة يحدد مستوى معيشة هذه الاسرة ويتحكم في مدى قدرتها على مواجهة احتياجاتها العائلية الضرورية من غذاء وملبس ومسكن وعلاج وتعليم ٠٠ الخ ٠ وفي سبيل المحافظة على مستوى دخل معين للاسرة يعينها فيما تحتاج اليه في شتى الاغراض ، تقرر التشريعات الاجتماعية في بعض الدول اعانة خاصة بالاسرة اما ان تأخذ صفة العلاوة المستمرة على الدخل أو تأخذ صفة العلاوات الطارئة غير المستمرة ٠ مثل الاعانات التي تمنح للمتزوجين الجدد ٠

١ ــ ففيما يتعلق بالعلاوات المستمرة على الدخل، فاننا نجد أن أرباب العائلات يتمتعون في بعض الدول بحق الحصول على اعانات نقدية مستمرة تكون ايرادا اضافيا منتظما على مجموع دخولهم ٠ كما في استراليا وكندا والسويد والمملكة المتحدة وغيرها ٠ ففي(استراليا) مثلا يجوز لكل شخص ممن يتولى رعاية واحد من الاطفال أو أكثر وحمايتهم وتربيتهم ممن تقل أعمارهم عن ست عشرة سنة ٠٠ ان يحصل على اعانة بمعدل عشرة شلنات أسبوعيا عن كل واحد من هؤلاء الاطفال بعد الولد الاول ولا تستحق الاعانة على الاولاد من الاناث اذا هن تزوجن قبل السادسة عشرة من العمر ٠ وفي (السويد) يستحق كل فرد ممن يعول أولادا ان يحصل على علاوة عادية عن الاولاد ٠

وتصرف الاعانة في السويد كل ربع سنة منذ بدء الربع التالي لمولد الطفل الى نهاية الربع الذي يبلغ فيه الطفل السادسة عشرة ٠

وفي « انكلترا » لكل عائلة مكونة من اثنين أو أكثر من الاولاد ان تحصل لصالح العائلة عموما على اعانة

بمعدل خمسة شلنات أسبوعيا لكل طفل من العائلة فيما عدا الولد الاكبر حسب حجم العائلة ·

ويعتبر الفرد طفلا يستحق الاعانة اذا كان هو أو هي أقل من الحد الاعلى لسن التعليم الاجباري (خمس عشرة سنة في بريطانيا وأربع عشرة سنة في ارلندة الشمالية) أو خلال أية فترة من الزمن قبل أول أغسطس التالي لليوم الذي يبلغ فيه الفتى أو الفتاة السادسة عشرة متى كان الواحد أو الواحدة منهما منتظما في الدراسة أو في التموين (اذا لم يحصل المتمرن على أية صناعة أو حرفة أو على أي دخل) ·

وفي كل هذه الحالات يشترط لاستحقاق الاعانة في هذه الدول المشار اليها توافر شروط معينة من حيث الجنسية والاقامة وعدد وعمر المعولين · ولا يجوز الحجز على الاعانة ولا مصادرتها لاي سبب من الاسباب وهي كذلك معفاة من ضرائب الدخل فيما عدا بريطانيا في بعض الحالات الخاصة حيث تخضع لضريبة الدخل كافة المبالغ التي تدفع مقدما تحت الحساب ·

والملاحظ فوق كل هذا ان هذه الاعانة العائلية تصرف بغض النظر عن نوع العمل الذي يمارسه رب الاسرة ومقدار دخله ·

بينما نجد في بعض الدول الاخرى كالبرازيل واتحاد جنوب افريقيا والكويت كذلك ان العلاوات المستمرة على الدخل لا تصرف كأعانة للعائلة الا للعائلات ذات الدخل الضئيل · أي ان دفع هذه الاعانة مرتبط بالدخل بحيث لا تصرف الا بعد تقص وتحريات عن دخل الاسرة ·

ففي البرازيل : يستحق اعانة الاسرة كل واحد من رؤساء الاسر كبيرة العدد كما سيوضح فيما بعد بصرف النظر عن عمله المهني متى كان دخله غير كاف لمقابلة الاحتياجات الاساسية الضرورية لاطفاله كأن يكون دخله مثلا أقل من ضعف الحد الادنى للاجر في المنطقة التي يعيش فيها ·

والمقصود بعبارة الاسرة الكبيرة هي تلك التي تحتوي على ثمانية أطفال على الاقل ومن جنسية برازيلية ممن يقل أعمارهم عن الثمانية عشر عاما (ويدخل في ذلك الاطفال الشرعيون والمعترف بهم قانونا وغير الشرعيين المعترف بهم ، والاطفال بالتبني) كل ذلك بشرط أن يكونوا مقيمين في مسكن والدهم أو في مسكن شخص آخر يرعاهم ويتعهدهم ويتحمل مسؤولية تربيتهم وتعليمهم على نفقته ·

ولا تجوز المطالبة بأعانة لاي ولد ممن تزوجوا من الاولاد و لاولئك الذين يحصلون على أعمال مكسبة الا اذا كانوا يمارسونها للتمرين واكتساب خبرات ·

ولرب الاسرة طبقا للاوصاف السالفة الحق في أن يحصل على اعانة الاسرة وقدرها مائة كروزيروس شهريا شهريا متى كان يعول ثمانية أطفال كما يحصل على اعانة اضافية قدرها عشرون كروزيروس شهريا عن كل طفل بعد الطفل الثامن ·

ولكي يحصل رب الاسرة على الاعانة فعلا يتعين عليه أن يثبت مقدار ما يؤديه لاولاده من العناية الجسمانية والثقافية بل والخلقية أيضا متبعا في ذلك التعاليم الدينية والعقائد التي يدين بها رب الاسرة وفي حدود قدراته وظروفه وامكانياته ·

ويجوز أن توقف اعانة العائلة متى ثبت أن رب الاسرة أخفق في استعمالها في الموضع الذي منحت من أجله في تقويم الطفل وتعليمه واعالته ·

وفي اتحاد جنوب افريقيا : تصرف اعانات الاسرة للعائلات ذات الدخل الواطيء في اتحاد جنوبي افريقيا بشرط الاقامة في تلك البلاد وبحيث يثبت أن كل عائلة تعول ثلاثة أو أربعة أولاد دون السادسة عشرة · وتصرف الاعانة لصالح العائلة كمجموعة · كما انها تؤدي فقط منذ الولد الثالث ولمن يليه ·

ويشترط كذلك لصرف هذه الاعانة أن يكون الدخل الشهري للعائلة أقل من الحد الاقصى الموضح في جدول خاص بذلك (للاوروبيين اثنا عشر جنيها اسبوعيا في المدن الكبيرة · وعشرة جنيهات في المدن الصغيرة · وثمانية جنيهات في المناطق الريفية ·

أما بالنسبة لغير الاوروبيين فان الدخل ينبغي أن يكون ستة جنيهات أسبوعيا في المدن الكبيرة وخمسة جنيهات في المدن الصغيرة وأربعة جنيهات في المناطق الريفية) ·

وعلى هذا فانه لا بد لصرف الاعانة من تحريات على الدخل · وفي الحالات التي يقل فيها الدخل عن الحد الادنى السابق ذكره فان الحد الاقصى للاعانة الشهرية يتناقص بمقدار جنيه أدنى من الدخل ·

وتعتبر العائلة المستحقة للاعانة مستوفية لمسوغات ذلك متى كانت مكونة من الزوج والزوجة يعيشان معا ومعهما ولدهما في حضانتهما معا ويقوم أحدهما أو كلاهما باعالته ورعايته والانفاق عليه ·

ويعتبر في حكم الوالد العائل الوحيد لهذا الولد أو اذا كان ينفق عليه أكبر قسط من نفقات حياته بقدر يفوق أي قدر آخر ينفق عليه من أي فرد آخر وتصرف الاعانة للزوجة عادة ·

ولا يجوز أن تصرف الاعانة لغير مستحقيها ، كما لا يجوز رهنها أو التنازل عنها أو اعتبارها ضمانا لاي دين بحكم قضائي أو بغيره مهما كانت الظروف ٠

وفي دولة الكويت : يستحق اعانة الاسرة كل واحد من رؤساء الاسر متى كان دخله غير كاف لمقابلة الاحتياجات الاساسية الضرورية لاطفاله كأن يكون دخله مثلا أقل من ٢٥٠ ر ١١ د ك ٠

ويقصد بالاسرة بأنها مجموعة مكونة من زوج وزوجة وأولاد يعيشون في معيشة واحدة أو بعض أفراد هذه المجموعة ٠

ويقصد بالاولاد الاولاد المعولون الذين لا تزيد سنهم عن ثمانية عشر عاما الا اذا ثبت استمرارهم في التعليم ، والبنات المعولات حتى زواجهن ٠

ويتكون الحد الاعلى للاسرة من أربعة أفراد بحيث يصرف لكل فرد منها فيما عدا الاب علاوة عائلية مستمرة مقدارها ٣ر٧٥٠ د٠ك ٠ وذلك بعد التحري والبحث عن حالة ودخل الاسرة ٠ ولرب الاسرة أيضا في مثل هذه الحالة الحق في أن يحصل على اعانة اضافية زيادة على المقرر بمقدار ٣ر٧٥٠ د٠ك شهريا متى بلغ عدد أفراد الاسرة ستة على الاقل وكان منهم أربعة أولاد أو أكثر في سن الاعالة ٠ والى جانب ما تقدم فقد أورد التشريع الاجتماعي المعمول به في الكويت نصين على جانب كبير من الاهمية لدفع الاسرة الى الاعتماد على رعاية شؤونها بنفسها بعد ان هيأ لها الامكانية لذلك :

أولا : اجاز صرف جملة استحقاق عام كامل يجوز تجديده عاما آخر دفعة واحدة اذا ثبت امكان استغلال المبلغ بما يعود على الاسرة بالنفع كقيامها مثلا بالمشروعات التجارية أو الصناعية البسيطة التي تساعدها على الاعتماد على نفسها بالتدريج (م ٨ من قانون المساعدات العامة في الكويت) ٠

ثانيا : أباح القانون في المادة (١٧) رفع هذه المساعدة الى الضعف اذا استدعت ظروف الاسرة ذلك ٠ مما يساعد على مواجهة الحاجات الضرورية لبعض الاسر الكبيرة العدد المنخفضة الدخل ٠

١ ـ أما فيما يتعلق بالعلاوات الطارئة غير المستمرة : وهذه نوع من الاعانات غير المستمرة على الدخل وانما هي وقتية ، تصرف مرة واحدة ، ومرهونة بحدوث حادث معين كمولد الطفل مثلا أو عند الزواج ٠

ففي حالة الزواج مثلا تصرف لبعض فئات من العمال (في الارجنتين) منحة زواج تتراوح ما بين مائة ومائتين بيزو حسب نوع الصناعة التي يزاولها العامل ٠

(وفي بلجيكا) تصرف هذه المنحة لدى الزواج وبمعدل أدناه ثلاثمائة فرنك وأقصاه خمسمائة لكل عضو من أعضاء جمعيات التأمين المنتفعين بنظام التأمين الذي نظمته الاتحادات العامة الاهلية لاتحادات جمعيات التأمين المتبادل ٠

وهناك نوع آخر من منحة الزواج وهو حق المرأة العاملة التي تترك العمل لتتزوج في أن تطلب مكافأة انهاء الخدمة التي تصرف عادة عند ترك العمل ، كما في مصر بموجب قانون العمل الموحد رقم ٩١ لعام ١٩٥٩ ، وفي سوريا أيضا قبل العمل بأحكام هذا القانون ٠

وفي دولة الكويت كذلك حيث نصت المادة ٥٧ من قانون العمل في القطاع الاهلي على أن للمرأة العاملة الحق في جميع الاحوال بمناسبة زواجها ، المطالبة بمكافأتها كاملة عن مدة خدمتها اذا تركت العمل خلال ستة أشهر من تاريخ الزواج ٠

والهدف من هذه المنح بالطبع هو تقرير حالة الزواج وتأمين النفقات الضرورية لمواجهة مصروفات تكوين الاسرة الجديدة ٠

أما في حالة **اعانة المولود** أو كما تسمى في فرنسا علاوة الامومة فهذه تمنح للامهات أو للآباء أو لمن يعيش الطفل في كنفه وحراسته ٠ ففي تركيا مثلا يجوز للامهات من ذوات الستة أولاد الحصول على منحة مالية تحصل عليها مثل هذه الام مرة واحدة ٠

(وفي روسيا) يخول للامهات متزوجات أو غير متزوجات ممن لهن ولدان أن يحصلن على منحة مالية اجمالية عند مولد الطفل الثالث ومن يليه وذلك طبقا للجدول الآتي :

- ٢٠٠ روبل لام الولدين عند مولد الثالث
- ٥٦٠ روبل لام الثلاثة وعند مولد الرابع
- ٨٥٠ روبل في حالة الام ذات الاربعة أولاد عند مولد الخامس ٠
- ١٠٠٠ روبل لام الخمسة أولاد عند مولد السادس
- ١٢٥٠ روبل لام الستة أولاد عند مولد السابع
- ١٥٠٠ روبل لام السبعة أولاد عند مولد الثامن
- ١٧٥٠ روبل لام الثمانية أولاد عند مولد التاسع
- ٢٠٥٠ روبل لام العشرة أولاد عندمولدكل طفل يليه

ثانيا : الاجراءات الخاصة بتخفيف أعباء السكن للاسرة :

يعتبر السكن من المطالب الاساسية الضرورية في زيادة رخاء المجتمع وتوفير الاستقرار للمواطنين كافةوعلى الاخص بالنسبة للفئات المحدودة الدخل والمتوسطة التي

لا تقوى على نفقات وأعباء السكن مما سبب لهذه الفئات الفقيرة بالذات الكثير من عدم الاستقرار والاطمئنان وبالتالي قلة الانتاج وخفض مستوى المعيشة وما يصاحب ذلك ـ بالضرورة ـ من أثر سيء على مستوى الدخل العام في مجموعه واضطراب أحوال المجتمع ٠

ولهذا نجد المشرع في مختلف الدول يولي مسألة السكن جل عنايته واهتمامه عن طريق تنظيم الاحكام والاوضاع التشريعية الكفيلة بتخفيف أعباء السكن على العائلات مما يهيىء للاسرة المستحقة ان تعيش حياة أفضل من حيث السكن ومن حيث مقابلة جزء لا بأس به من تكاليف السكن ٠

وتأخذ هذه الاعانات أو التسهيلات عادة عدة صور منها علاوة الايجار مثلا أو اعانات خفض الايجار أو قروض تخصص لملكية السكن أو قروض ايجارية أو اعفاءات من الضرائب على المسكن وغير ذلك من التسهيلات ٠

ففي (دولة الكويت) مثلا راعى المشرع حالات الاسر الفقيرة ذات الدخل الواطيء مما لا تحتمل معه الانفاق على اعباء السكن فقرر بأن الاسرة المعانة بحسب قانون المساعدات المعمول به ، اذا كانت تسكن بالايجار فانها تمنح علاوة ايجار بمقدار ٣٫٧٥٠ د٠ك وذلك فوق ما قد تستحقه من مبالغ وعلاوات أخرى ٠٠ (م ١٠ من قانون المساعدات) كما ان المشرع راعى في بعض الحالات عند احتساب الدخل الناتج عن كسب عمل رب الاسرة تمهيدا لتقدير المساعدة المستحقة ، ان يخصم من هذا الدخل الايجار ان وجد بحيث لا يجاوز ١٨٫٧٥٠ د٠ك شهريا (م ١٣ من قانون المساعدات) ٠

أما فيما يتعلق بالتسهيلات الممنوحة للعائلات على هيئة اعانات وقروض لبناء وشراء المساكن فان هناك ثمة بوادر طيبة ونواة صالحة للمضي في مثل هذه المشاريع المجلية النفع للاسرة والمجتمع ٠

وقد تولت الحكومة مشروع بناء مساكن صحية حديثة للاسر المحدودة الدخل تم منها حتى الآن حوالي ثلاثة آلاف بيت يجري تمليكها على مستحقيها بما يتناسب ومستوى مرتباتهم ودخولهم خلال خمس وعشرين سنة ٠

كما يقوم (بنك الاتمان) وهو مؤسسة حكومية لم يمض على انشائه سوى ستة شهور تقريبا بمنح القروض المالية بشروط خاصة لبعض الاسر التي تمتلك قطعة الارض اللازمة للبناء لكن مواردها لا تقوى على البناء أو اتمام البناء للسكن الملائم ٠ وما من شك بأن هذه الاجراءات ستخفف العبء كثيرا عن كاهل الحكومة من جانب ، كما أنها من ناحية أخرى ستضاعف من جهود الاهالي وعزائمهم للوصول الى ملكية مسكن لهم ولاسرهم ٠

وفي مصر وسورية كما في العراق أيضا تشجع الحكومة بقانون صريح المواد اقامة المساكن الشعبية القليلة التكاليف وتمكن صغار الموظفين والعمال من السكن في هذه المساكن أو تملكها ٠ كما تقدم الحكومة الى الجمعيات التعاونية لبناء المساكن حاجتها من أراضي الدولة بسعر الممارسة كما ترصد لها الاموال اللازمة لاقامة المساكن مع ضمان الحكومة لفرق الفائدة لكي تصل القروض الى طالبي البناء الرخيص والتعاوني ميسرة رخيصة التكاليف ٠ ومن المجهودات الحكومية أيضا المساهمة في اقامة شركة شبه حكومية للمساكن الشعبية وترعى الدولة كذلك صغار موظفيها في بعض مصالحها الحكومية فتميزهم على غيرهم للاقامة في المساكن الحكومية بايجار شهري ٠

وفي (فرنسا وسلفادور) تمنح القروض لارباب العائلات الكبيرة العدد وتختلف عليها الفوائد وذلك تمكينا لهذه العائلات من اقامة مساكن خاصة بهم ٠

وفي (روسيا) يمنح النازحون والمستقرون المقيمون في المزارع الجماعية منزلا في حالة جيدة ويلحق به جزء صغير من الارض الزراعية ٠ ويمنح هؤلاء النازحون قرضا لمدة خمس سنوات بمعدل ٢٪ لاجراء التعليمات اللازمة للمساكن ٠ وتمنح القروض لبناء المساكن واقامة ملحقاتها في حالة عدم وجود مساكن جاهزة أو خلوات في المساكن القائمة ٠

وفي (شيلي) يعتبر شراء المسكن للاقامة ، من مخصص الصندوق العام للاسكان ٠ ويعتبر هذا الشراء بهذا الطريق وقفا على العائلات الكبيرة العدد ٠ وذلك على شرط ان يكون رب العائلة طالب الانتفاع مواطنا شيليا ممن يبلغ دخله حدا لا يزيد على مرتين ونصف الحد الادنى للاجور وممن لا يملكون أي عقار للسكن ٠

وفي كثير من التشريعات كما في (تشيكوسلوفاكيا) مثلا ترتب أولويات الحصول على مسكن للافراد الذين يعتزمون الزواج أو للمتزوجين حديثا ٠ الى غير ذلك من نصوص وأحكام التشريعات المختلفة وكلها تهدف الى رعاية الاسرة وتخفيف الاعباء العائلية عن كاهلها ٠

ثالثا : الاجراءات الخاصة باتاحة فرص التعليم لافراد الاسرة :

ان الاهتمام بالتربية والتعليم يأتي في مقدمة الطرق والوسائل التي تحمل الناس على تغيير أسلوبهم في الحياة والعمل على رفع مستوى الاسرة والجماعة في نفس الوقت ٠

فعن طريق التربية والتعليم يمكن اعداد الناشئة وتهذيبهم وتهيئتهم لتحمل أعبائهم كمواطنين صالحين يعملون جماعات وأفرادا ويساعدون أنفسهم في نطاق أسرتهم ومجتمعهم ٠

ولهذا فان جميع التشريعات الاجتماعية اذ تهتم بتقرير بعض المنح والاعفاءات للاسر انما تستهدف اتاحة فرص التعليم وتذليل كافة الاعباء والعقبات أمام الاباء والامهات ليزيدوا من قدراتهم في هذا السبيل وليتمكنوا من اعالة أنفسهم وأبنائهم وبناتهم وترك هؤلاء الاولاد للانتظام في دراساتهم دون التعرض لهم أو الوقوف في سبيلهم بدافع من العوز والاحتياج ٠ وعلى هذا فان هذه المنح والمعونات التي تقدم للاسر قد يستمر صرفها حتى لو تجاوز الاولاد السن المقرر لتلك المنح متى يثبت أنهم يواصلون دراستهم ٠

كما هو الشأن في (انكلترا) حيث تمنح العائلات ذات العدد وعلى أساس جدول الدخل ، تخفيضات وامتيازات في مجانيات التعليم ٠ كما ان سلطة وزير التعليم أن يصدر التعليمات التي تنظم منح الاعانات ومجانية التعليم ونفقات الجيب وغيرها للطلبة فوق سن التعليم الاجباري وذلك تيسيرا للطلبة في التعليم ولاولياء أمورهم في أن يثابروا على تحمل نفقات أولادهم ٠ وتخصص هذه الامتيازات للطلبة على أساس الدخل الاصلي لعائلات ذويهم وعلى أساس هام آخر هو عدد ما يعوله رب العائلة من الاولاد ٠

وفي (اليونان) تعفى العائلات المتوسطة من المصروفات المدرسية بالنسبة للتعليم العالي ٠

وفي بلاد مثل (فرنسا والبرازيل وبلجيكا) يمتد الاعفاء من اداء المصروفات المدرسية ليشمل مختلف المدفوعات المدرسية مثل رسوم التسجيل والامتحان ومصاريف الاقسام الداخلية وتتبع هذه الدول قاعدة التدرج في الاعفاء وذلك طبقا للحالة الاجتماعية لرب العائلة من حيث عدد ما يعولهم من الاولاد ممن يتلقون العلم في المدارس ٠

وفي بلد (كالنروج) تكون نسبة الاعفاء موحدة في كافة الحالات ٠

وفي (بلجيكا) يمكن لرب الاسرة أن يحصل على مبلغ من المال بصفة سلفة تسترد منه على دفعات سنوية في مدى عشرين سنة وبفائدة ٧٪ ٠

وذلك لمقابلة مصروفات تعليم الاولاد والقرض الذي يمنح في السنة الواحدة يتراوح بين ألف وأربعمائة فرنك واثنى عشر الفا من الفرنكات وذلك حسب طبيعة الدراسة وحالة الطالب ولا تمنح القروض اطلاقا عن أي ولد أو بنت ممن يرسبون أكثر من سنة دراسية في الفصل الواحد ٠

ومن الملاحظ ان اعباء المصروفات المدرسية على العائلة تزداد وتخف حسب امكانيات التعليم في الدولة وحسب ما عليه نظم التعليم المجاني ٠٠

وعلى هذا ففي (دولة الكويت) مثلا حيث ان التعليم مجاني في جميع فروعه ومراحله فان الطالب كذلك يحصل على امتيازات أخرى عديدة منها الحصول بالمجان على الكتب الدراسية اللازمة والاجهزة والمواصلات وأدوات التسلية ووسائلها والمكافآت التشجيعية ، كما انه طبقا لقانون المساعدات المعمول به فان أرباب أسر الطلبة الفقيرة يحصلون على اعانات تصرف لهم عن أولادهم حتى لو تجاوز سنهم عن ١٨ عاما وذلك متى ثبت استمرارهم في التعليم ، بواقع ١١٫٢٥٠ د٠ك عن الطالب الاول و ٣٫٧٥٠ د٠ك عن كل طالب من اخوته بحد أعلى قدره ٢٦٫٢٥٠ د٠ك شهريا ٠

(وبعد) فالى هذا الحد من الرعاية والاهتمام نظر المشرع الى الاسرة ٠

ولعلنا من هذا الاستعراض الموجز لما هو عليه الحال في مختلف التشريعات الاجتماعية خاصا برفاهية الاسرة ورعايتها ، وبما أوردناه من أمثلة قصد منها « تدعيم كيان الاسرة وترابطها وفتح المجال أمامها لمقابلة احتياجاتها الاساسية الضرورية في المجتمع ، نكون قد تفهمنا حقيقة قصد المشرع في مختلف الدول بالنظر الى الاسرة كوحدة باعتبارها دعامة أساسية من دعامات المجتمع لها أوثق الصلة بما يكون عليه المجتمع من تقدم ورقي في كافة المستويات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية مقدرين بذلك ما للاسرة من أهمية كبيرة ومسؤولية خطيرة في الدور الذي تلعبه في عمليات النهوض والتطور في صالح الجماعة وتقدم المجتمع ٠ وهو ما يدفعنا حقيقة الى ضرورة مضاعفة الرعاية لشؤون الاسرة عموما بما تشتمل عليه من آباء وأمهات وأولاد ٠٠ في شتى مجالات الحياة لتنطلق عاملا فعالا في بناء صرح المجتمع وتكامل نموه ٠

عبد العزيز الصرعاوي

لقد عاد المدمن

قصة جديدة بقلم: سعيد حورانية

هناك نوع من الحساسين، صغير بحجم قلب طفل، لا تعرف أشجارنا وجبالنا أروع منه حلة ولا أبهى رونقا. كان حلما من أحلام الغصون المثقلات بالجني والعطاء. كان يكفي أن يفتح منقاره المذهب، حتى تصغي البساتين والغابات بغبطة لتستمع الى أول مناغاة من طفلها، وتصفق الاوراق بخفة وترقص رقصها للواكف المنهمر وتهتف:

– انه السكير .. لقد عاد المدمن.

وتمد الاذرع الخضراء داعية في ابتهال، ولكن حسون الدنان – وهذا اسمه – يحط على صديقته الاثيرة، بشجرة الرمان الصغيرة، ثم يدور حولها رائزا متفحصا حتى يختار احدى أكبر رماناتها فيمسك بغصنها ويقصفه بلطف وخفة، فتسقط الرمانة الناضجة على الارض اللينة، فيدحرجها بشغف الى طرف وهدة تخفى على الاعين ويروح ينقرها حتى يسيل دمها، فينصرف مزغردا لحظات يعود بعدها الى كنزه فيمص من جديد السائل الحلو اللذيذ، ويظل يتابع طيرانه ورشفه حتى يفرغ رمانته من لبها تماما، فيتركها في الشمس حتى تيبس.

وعند ذلك تبدأ عملية هذا الخمار المدهشة، ينسى شدوه وشعره وينصرف الى العمل بهمة .. ان عليه الآن أن يملأ هذه الخابية الصغيرة بالعنب والتين، وها هو ذا ينقل اليها ناضج الحب وذائب الشهد .. ويظل يجوب البساتين باحثا منقبا حتى يملأ دنه، وعند ذلك ينقل الى باب الخابية الصغير القش والطين حتى يختمه ويرصده، ويحفر حفرة تتسع للرمانة الملآى ويدحرجها حتى تستقر فيها ثم يغطيها بالتراب ويعود من جديد ليملأ خابية أخرى.

فاذا تمت مؤونته مع قدوم الشتاء ضرب بجناحيه الاجواء مغنيا أغنية الوداع ويختفي في الافق سهما صغيرا ملونا لا يعرف أحد أين يذهب، وتظل خوابيه مدفونة تخمر بهدوء نبيذه الرائع .. وتمر أربعة أشهر حتى تطيب المدى أول ريح دافئة مزهرة. ومن حيث لا يدري أحد .. تدنو من الافق عصائب أسهم ملونة قوس قزحية تنزل بثقة لا حد لها، وتنبش التراب وتفتح الختم المرصود وتمد مناقيرها بوجل وتذوق نبيذها مرة ومرتين، ثم تعب منه بفرح .. فيتعتعها السكر وتقفز نحو الاشجار مترنحة مرتجفة الاجنحة وتفتح مناقيرها المحمرة .. وتسمع الطبيعة شعراءها من جديد يرسلون صلواتهم لامهم الارض حارسة الدنان. وتقول الاوراق لامها الشجرة بجذل:

– لقد عاد السكير لقد عاد المدمن.

* * *

تحت السنديانة العجوز، تعالت أصوات حاقدة هادرة، كان هناك جماعة من أصحاب البساتين يرتجفون من الغضب وهم يستمعون الى حسون الدنان يصلي في محراب الكون ناشرا الفرح والحب حيثما حل، ودنوا من شيخ هادىء مذعور وهم يهزون قبضاتهم:

– لقد خرفت ولم تعد الناطور المثالي، ان يديك واهنتان، وقدميك قد دب فيهما الكلال.

ونبر في وجهه ناصب أفخاخ شاب:

– ان تلطيخ الاشجار بالدبق، ونصب الفخاخ في الحقول طريقة عقيمة وقديمة، لقد أفسد هذا الطائر اللعين البساتين وها هي الارض تمسك عنا خيرها، ان ما يضعه هذا السكير في التراب يجعل للثمار طعما مرا، ويميت بذورنا بالتعفن.

كانت الارض تحدجهم بألف عين رمادية •• وكان اعتكارها يجعلهم قلقين •• لا لم تعد أرضهم التي عهدوها •• ان وقع أقدامهم عليها يابس ، وكان يسمع من تحتهم تقصف غاضب •• ومن الشقوق المنتشرة الى ما لا نهاية ، كان تنفس حار يترك العرق يتصبب من أجسامهم ، هي ذي رئة الارض التي لم تبق صديقة •• وهذا القرع العدو خفقات قلب لا يعرف السلام •• لقد لبسوا نعالا سميكة •• ولكن التراب يلهبها • وشعروا بأنهم غرباء ولمعت في عيونهم بحيرة دم •

وانبرى ملاك آخر :

ـ القتل •• الافناء هذا هو الحل الوحيد

وارتجفت السنديانة العجوز من فوقهم وهدلت أوراقها في بؤس وتقدم شاب طويل القامة وقال بهدوء :

ـ كفى مهاترات •• لنتحد جميعا ضد هذا السكير الوقح ان طريقتنا القديمة في مكافحته منفردين أصبحت غير مجدية وها هو دوما يتكاثر حتى يكاد يسد الافق ، والاصح أن نعمل بسرعة ، وأرى أن يقودنا دم جديد شاب لا تعرف الرحمة الى قلبه سبيلا •

ـ من تقترح ؟ من تقترح ؟

ورفع الناطور العجوز رأسه وقال بخبث :

ـ لقد عبرت عن رأيك بقوة ، قدنا أنت ، أما أنا فقد تعبت •• تعبت حقا •

وصاح الجمع بقوة :

ـ نعم قدنا أنت •• أنت وحدك القادر على افنائهم

قال الشاب بنفس الصوت الهادىء :

ـ لا معارضة ؟ أريد أن آمر فأطاع

ـ لا معارضة لا معارضة •

ـ اذهبوا الى البيوت وأحضروا بنادقكم ، وأتوا أيضا بصفائح البنزين سنحرق قصلات القمح وسيفسد الهشيم المشتعل كل الخوابي ، وسنفتش الارض شبرا شبرا بحثا عن هذه الدنان المسمومة،ولن يجد هذا النباح شيئا يغني من أجله •

وصاح الجمع وقد هاجته الحماسة :

ـ لن يجد شيئا يغني من أجله لن يجد شيئا يغني من أجله •

ـ سنضع الحرس على كل أشجار الرمان والتين والعنب ، وسيجدنا بانتظاره •

وعلا صياح الجمع المترنح :

ـ سيجدنا بانتظاره سيجدنا بانتظاره •

وانبعثت من فم القائد تكشيرة ماضية ولمعت عيناه بنظرة رمادية قاسية وصاح :

ـ لقد أفسدت الحقول والبساتين وهي تسمع مديحها كل يوم من فم هذا العدو التافه ، يجب أن نأتي بمن يمدحنا نحن ، من يغني أمجادنا •

ورفع العجوز رأسه قائلا بنفس خبثه السابق •

ـ ومن تختار ؟ من يقبل أن يترك الطبيعةوالارض ويتغنى بمديحنا •

فقال القائد الجديد بحزم :

ـ ليس هناك سوى البوم والغربان

وساد وجوم قطعه القائد

ـ أنا أعلم أنها لن تعقد صداقة سريعة مع الارض ولكن العادة تمهد كل شيء ، وعندما لا يسمعون سوى النعيق والنعيب سيظنون أنه لا يوجد في الدنيا غيرهما • والآن هيا الى العمل •

ورددت بعض الاصوات بحماسة :

ـ الى العمل •• الى العمل ••

ولكن آخرين انفصلوا عن الجمع •• وأخذوا وهم مطرقون ينصرفون الواحد بعد الآخر •• انهم من أعماقهم وقد رأوا عين القائد الدامية ، يكرهون القتلة والغوغائية والانقياد ، ويحبون الى حد ما صوت حسون الدنان ولو على حساب بعض أرزاقهم ، وكانت عين القائد تخترق ظهورهم محتقرة •

ـ خياليون •• جبناء •• ما بقي يكفي •• ان معنا السلاح ، فلنسرع الى العمل •

وذهبوا يتراكضون نحو البيوت ولـم يبق تحت السنديانة الحزينة الصامتـة ، سـوى الناطور المخلوع الذي نظر الى الجمع المبتعد وهز رأسه بأسى وهمس

ـ شباب !!

وفي تلك اللحظة سمع صوت حسون الدنان وهو ينشد احدى أحلى اناشيده فتأمله الشيخ لحظة بنوع من الكره •

وهمس مرة أخرى :

ـ **لن يفلحوا !!**

* * *

وبدأ الرعب الاكبر •• واجتاح الحقول والبساتين طاعون أصفر ، خفتت الاصوات المرحة الشادية وامتلأت الاجواء الساكنـة الحالمـة بأصوات الرصاص وصيحات الحقد ، ونكست الازهار تيجانها بـذل تاركـة لرائحة الحرائق الخانقة تلويث المدى •• وفي الظلام كنت ترى بريق العيون الحمر الذئبية وهي تفحص المصائد وتنبش التربة ، حتى اذا وقع حسون دنان مسكين ضحيةشراكها الغادرة بادرت أيد خبيرة ، فنتف ريشه وكسر منقاره وفقأت عيناه ورمي تحت الاقدام تدوسه في قسوة وجنون، ثم تحفر له حفرة صغيرة يلقي فيها ما تبقى منه وتنطلق العيون الحمر الذئبية الى مصيدة أخرى وقد أسكرها النصر •

وسمعت الغربان وعصائب البـوم بدعوة أصحاب البساتين وبمأساة الحسون الخمار فتواردت بأعدادكبيرة وأخذت تنعق وتنعب ممجدة المذبحة ، وأصبحت تواكب الباحثين مبحوحـة الحناجـر ممدودة الالسنة غدافيـة الاجنحة ، وكان أصحاب الارض يصرخون :

ـ هذا هـو الغناء الشجي ، هـذه هي الاصوات الحقيقية •

وترفع رمانة قديمة رأسها بجهد وقد أثقلها الغم •

ـ يا له من زمن يقف على رأسه •• انه لاسوأ من غزو الجراد •• لقـد عشت لارى الغربان والبـوم ترفع أصواتها فوق غصوني •

وانتفضت نفضة فتناثرت نصف أوراقها على الارض

وكانت عصائب البوم والغربان تكثر وتكثر وكانت تحط دائما على السنديانة الضخمة وتملأ الافق بنذرها المشؤومة وكانت السنديانة من تحتها تحس بنفسها دبيب الفناء ، وهو شعور بدأ يلف الغابات والبساتين جميعها•• ان شيئا عزيزا كالنسغ قد اختفى منها •• كان ضميرها معه غائبا ، بينما يقبع على أغصانها حثالة الطيور •• والى السنديانــة توجـه المالكون أيضا ، كانـوا متعبين حتى الانهاك ، وقورين •• في عيونهم شماتة غـير مبررة ، وفرح ينطفىء لافتعاله •• وكانوا يعزون أنفسهم بأن الاصوات المعروفة للحساسين قد خفتت ، وكانوا يقولون من الصحيح أن غناءه لم ينقطع رغم طلقات الرصاص وأصوات الجوقة المنكرة ، ومن الصحيح أن البساتين كانت تنتعش وتتفتح زهورها لسماع شاعرها المحبوب ، ولكن طلقة بندقية وغاقا واحدة كافية لتسكت الصوت الجميل ولو الى حين •• ولو الى حين ؟ وكانت هذه المدة الزمنية تجعلهم يغصون ، فمن مكان ما في الافق كان يبرز سهم ملون ، وكان يندفع الى الارض حيث يبدأ بالحفر ، وكانت رمانة حفظها له قلب الارض البني تتوهج مختومة الارصاد ، وكان يعب منه وينطلق منشدا أعذب قصيدة يمكن أن يقولها شاعر ، وعند ذلك كان كل شيء ينصت حتى الغربان والبوم ، وكان المالكون يسدون آذانهم وهم يرون السهم في أعالي الفضاء ، لا تطاله بنادقهم ولا تؤثر فيه شتائمهم فيوقظ الغابة المريضة والاشجار المسلولة ، والازهار الهاجعة ويذكي فيها جميعا حبها القديم المعتق كخمرة المعتق •

وكانت الجماعة التي تكره القتلةوالغوغائيةوالانقياد يختبئون في بيوتهم ، لقد قتل أحدهم منذ زمن لانه ضبط مستمعا لحسون ينشـد ، وكانـوا يعرفون أن المذبحة ستمتد جذوتها اليهم ، وان القائد وأتباعه أصبح القتل لديهم غاية ، وأنهم اذا لم يجدوا من يقتلونه فقد ترخى البنادق نحو الصدور وتضغط الزناد أيد عصبية لم تغفر لهم ترددهم السابق •• **وكانت الارض ترتجف ••**

وكانت الجبال ترتجف •• وكان الرجال يرتجفون • وكان الصمت يمتد ويزحف أعلى من هدير بحر ، وكان القتلة قد أخذوا يخشون هذا الصمت أكثر من أي شيء آخر ، وكانوا يضربون الرصاص في الهواء علهم يسلون أنفسهم •• ولكن الارض ما تزال ترسل تشققاتها نسيما حارا ، وما زالت الضربات تطرق بهدوء وثقة من عمق الاعماق آذانهم •• ان القلب لا يزال يخفق ، وكانوا يؤمنون أن سر هذه الارض لا يمكن أن يكتشف •• انها ما تزال تخبىء شيئا •• شيئا لعينا لا يمكن التفكير بمدى خطره • وكانوا يقولون لقائدهم بصدق :

ـ لقد فعلت كل ما تستطيع •• استنفدت كل الحيل •• ارتكبت جميع الجرائم •• ولكن يخيل الينا أن هذا الوطواط الهزيل عصي على الفناء •

وكان الناطور العجوز يهز رأسه بأسى :

ـ لقد فعلتم الكثير مما لم يستطع خيالي الكسير أن يحلم به ، بله أن يحققه ••

وصمت قليلا ورفع رأسه فرمقهم بشجاعة وصب نظراته على القائد :

ـ ولكــن •• ولكــن اذا أتينا الى النتيجة فماذا نرى ؟

خربت الارض وجرحت وتغيرت معالمها ، وعصائب غربان وبوم ينفرون الغابات ، وأصوات لا تزال ـ على قلتها ـ تبعث في كيانها رعشة الحياة وسحر الوجود •

فرمقه القائد بنظرة ذابلة مستخفة •

ـ ها •• أنت الآن تندب الارض المخربة •• انها أرضنا جميعا من أقصى الشمال حتى أقصى الجنوب من البحر الى البحر ، ولست أنت أكثر غيرة عليها منا •• ارتح قليلا يا أبتي فقد دب فيك الخرف ورفع العجوز رأسه وقال قد جمعت فيه الاهانة ما تبقى في صدره من حمية :

ـ عفوا سأغادر •• لك الارض فدبر الارض •• ولكن اسمح لي أن أقول لــك قبل أن أذهب •• لن تفلح •• لن تفلح •• هذا الحسون أصبح جزءا من الطبيعة ولا يمكن فصله عنها الا بافساد الجهتين معا ، وأنا أقول رغم كل ادعاء أن ابادته مستحيلة •• كمنع الزهور من نشر الاريج والاشجار من صوغ الثمر •

فأطلق القائــد ضحكة مستطيلة مرعبة أرســلت الخوف الى قلوب أنصاره حتى لقــد ظنوا بــه الجنون ونبر :

ـ انني أتركك تذهب •• أحمد الله أن صدري واسع ، ولكن دعنا ، نحن الشباب ، ندبر أمورنا بدون مواويلك الرثة •• لقد تخليت لنا عن المهمة وها أنتذا تشــيع روح الضعف والانهــزام في صفوفنا •• اذهب الآن •

فابتعــد العجوز تواكبــه نظرات القائد المحتقرة ونظرات اتباعه القلقة •• لقد كان العجوز جزءا منهم ولكنه كان الجزء الذي مات ودفن في نفوسهم •

وانبرى شاب ذو نظارتين يقطع الصمت المخيم •

ـ لقد لاحظت أن الحسون لا ينشد الا عنــدما يشرب من الخمرة التي زرعها في الارض •• انهاالشيء الاساسي الذي يجعله يسحر الغابــة •• فلنكف عن اطلاق الرصاص ، ولننصرف الى نبش الارض بعناية فاذا لم يجد حسوننا شيئا يشربه فلن يكون صوته الا كصوت غرباننا وبومنا سواء بسواء •

فاهتزت جماعات الغربان والبــوم للاهانة ولكنهــا رفعت نعيقها ونعيبها بذلة وخنوع •

قال القائد موافقا :

ـ لنبدأ الآن •• ليس هناك أي وقت نضيعه •• لنحرث الارض ، ولنقلب الشجر ، فــاذا مــا خسرنا بعضه ، فلن يوازي ذلك بأي حال من الاحوال الفوائد

التي تجنيها •• واقتلوا كل من يقف في طريقكم من المترددين وتذكروا أنها معركة حياة أو موت •• ضعوا مكان قلوبكم أحجارا لا أريد أيـة شـفقة ، مطلقا •• مطلقا !!

وحملت المشاعل في أعماق الظلمة ، وطعن صدر الارض بالحديد ، وجعل عالي التراب سافلة ، واقتلعت جذور الاشجار •• وحلق العشب بشفرة مسمومة ولكن عبثا !! فما من أحد منهم وفق الى أن يجد رمانة واحدة، وكانوا ينتفضون جنونا وهم يشمون رائحتها ، بين أيديهم وقدامهم ، وخلفهم ، وكانت الكلاب تتشمم وتنبح ولكن الارض كانت تخبيء دنانها ، وبـح النعيق والنعيب ، وعادوا منهكين وقـد امتدت ألسنتهم شبقا الى الـدم ، وارتجفت أذرعهم بحمى الانتقام ، ولكن اليأس أخذ شيئا فشيئا يأخذ بخناقهم ، ورفعوا أعناقهم نحو السماء يلتمسون الهواء ، ولكن السماء كانت مغلقة كمدفن في هرم ، ورمى القائد مشعله على الارض ساخطا لاعنا ، فوقع على شجرة يابسـة فالتهبت كجثة عتيقـة وتعـالى الصراخ :

– الحريق •• الحريق •• النجدة•• النجدة••

ولكن الصراخ كان متأخرا ، فقد أعدت الشجرة المحترقة أختها ، وارتفعت أذرع اللهيب المشوقة نحو السماء ، وعدت بين الاشجار مزغردة مقبلة بشفاه وردية كاوية كل من يقف في طريقها وكان القائد يعول :

– ان بساتيننا تحترق •• لقد ضعنا •• لقد ضاع كل شـيء سـأمزق السـماء والارض •• سأقتل •• سأذبح ••

ولكن أحدا لم يستمع اليه فقد كانوا يتراكضون كفئران مذعورة ، وحوصروا بالنيران مـن كل جهـة فأخذوا يهربون من بين الفرج ، وسكت النعيق والنعيب دفعة واحدة وغطى السماء فرار أسود ، ولكن اللهيب ظل يستشري مطهرا في طريقه كل شيء جاعلا البنادق وأصحابها هباء ومن بعيد كان القائد الهارب ينظر الى المسرح المتلظي بأسى وهو يعض أصابعه :

– انها لارض ملعونة منذ الابد •• سأذهب الى أرض أخرى ، وأسرع مبتعدا وراء الجبال تاركا أصحابه بجبن •

حتى اذا طلع النهار •• لم يبق في البساتين سوى جثث سود محترقة ، وأشجار تابوتية مرعبة ، وأرض مكفهرة مغطاة بالرماد •• وبدا أن كل شيء قد انتهى الى الفناء ، ولكن هسهسة خفية ساحرة ، أشبه ما تكون بحركة وليـد يرعش للشمس كانت تنبعث مـن قلب الغابة والحقول والبساتين •• حركة خفيفة ولكنها حازمة ومتوقدة بالحياة ، حركة كامنة وراء القشور المحترقة والاوراق المشوهة ، والارض الملطخة •• كان ذلـك رئتي الحياة تتنفسان هواء العافيـة ، وكان هناك شـيء منتظر ، ومن بعيـد قدمت البشرى •• دنا سـهم يتبعه آخر ثـم آخر حتى مـلأوا الافق ، وحطت حساسين جميلة صغيرة بحجم قلب طفل على الارض المحروقة •• وسار كل منهم بثقـة الى مكان يعرفه ثـم أزاح طبقة خفيفة من التراب بهدوء وثقة ، ومن بين الخراب والدمار برزت الخوابي والدنان •• لقد أسود منها الغلاف ولكن نبيذها كان يبدو أنه أصبح ألذ منه في أي وقت آخر ، وأزالوا الاسداد ومدوا مناقيرهم وهم يرتعشون شـوقا وحبا ثـم عبوا منها وضربوا بأجنحتهم الجـواء وانطلق الغناء الرائع •

ورفعت أوراق متبقية من الحريق رؤوسها غـير مصدقة ، ثم اهتزت مصفقة هازجة لامها الشجرة •

– اسمعي يا أماه •• اصغي جيدا •• لقـد عاد المدمن •• لقد عاد السكير •

النهر الزليل

شعر : محمد الحريري

ما انعكاس الامجاد ، يا نهر قل لـي ... بعـد أن موجوك موجة ذل

تتلوى على الحصى مستغيثا ... والحصى في بكاه عنك بشغل

وامتداد الشطآن آهة محزون ... على دفقك الرتيب الممل

وانتفاض الاغصان وثبة مغلول ... وكانت بالامس وثبة نبل

تحمل الطير جامدات تماثيل ... تغنيْ بأمر عات مدل

فيموت الغناء في دمعة الطير ... ويحيا شدو النقيق المخل

أنت يا نهر في ربوعي دفق ... دموي يقيم في كل سهل

تلتقيك الجسور وصلة شطين ... يغيبان دون لفتة وصل

جسر (فكتوريا) ممر كآبات ... ومعدى أسى ومعبر ثكل

أوجوه عليه أم فرق سوداء ... رفت بها تهاويل ليل

أين منها اشراقة تذبح الشمس ... على طلعة الاباء المطل

وابتسام يفتق الثغر مرات ... فيجلو فالا يلوذ بفل

ذبلت بهجة التبرج يا نهر ... وماتت عليك نعمى التجلي

رب حان عليك يخشى هوي ... القلب من طائح من الحزن مبلي

قلبه جمرة ، ومأواك نار ... بين هذين أي معنى لنهل ؟

فارحم الناظرين يانهر ، أضحى ... لحظهم للشرود لا للتسلي

لحظهم نهر كربة وعذاب ... فوقه زورق السنى المضمحل

بردى أسعد النواظر فأردد ... وجهك الغائب البديع التجلي

أعطني بعض جلسة الامس في نزهة ... أمسي ، فما عرفت ببخل

أعطني بعض قولة قال حسان ... فصفق عزا علينا وهل

نحن في شاطئيك زهر عجيب ... سرمدي الشذى وان لم يبل

ان حرمنا النسيم نطلق نسيما ... أو منعنا ظلا نجود بظل

الشعر العربي في ماضيه وحاضره

بقلم : يوسف غصوب

نلقي في هذا المقال نظرة سريعة على الخطوط البارزة الكبرى التي مر بها الشعر العربي منذ نشأته حتى أيامنا هذه •

يخيل الينا ان الشعر ، في جزيرة العرب ، كان في بدء أمره هينمة متصلة تعلو وتنخفض في حلق الساري ، يجاري بها شدة الريح ووهنها ، بين التلال والفجاج ، ويوافق بها الحادي رهو أبله أو وخدانها في ليالي أسفاره • ثم طاب له ان يقيد هذه الهينمة بالفاظ سهلة المخارج تنسجم ووقع المناسم ، فكان الوزن • ورأى أن لا تساق المقاطع وتجاوبها وقعا في الاذن وفي النفس دونه وقع الكلام العادي ، وأنه يرفع بذلك الكلام الى مرتبة أعلى مما كان عليه كما يرفع الراقص مرتبة المشي فعدد الاوزان ونوعها واختار لها الفاظا تليق بها كماتختار الزينة الفاخرة للجمال النادر • ولما بدا للقبيلة أنه ينطق بلغة غير لغتها وأنه يحاول أن يشعر في أعماق نفسه بما يختلج في صدور أبنائها أكبرته وسمته الشاعر والتفت حوله وجعلت منه الناطق بلسانها وخطيبها والمناضل عنها ، والتفت حوله وجعلت منه الناطق بلسانها وخطيبها والمناضل عنها ، فعلا شأنه ، ووعى التبعة الملقاة على عاتقه فاضطلع بها وأدى حقوقها على خير وجه • على أنه لم يتغافل عن نفسه ولم يهمل ، في أوقات فراغه من مشاغل القبيلة ، ما يخالجه من فكر أو عاطفة وما يكتنفه من مهام نفسه ومن مظاهر الطبيعة وروائعها فانصرف الى الاعراب عنها في قصائد تضمن له بقاءها حية في خياله ، متوخيا في كل ذلك الصدق والاخلاص ، فجاء شعره طبيعيا لا تعمل فيه ولا تحذلق ولا محاباة ، لان قصارى ما يبتغي ان يظل مكرما ، معززا في قبيلته محترما ، مهابا في القبائل الاخرى • وما انفك يتبع هذه الخطة حتى في مدحه وهجائه وحتى في غزله الذي كان ينبجس عفوا من القلب دون ما تنميق ولا زخرفة • غير ان الغلو كان كثيرا ما يصحب الشعر ، ولا عجب ، فهذا شأن كل فن في بداءته •

لا نزعم أن الصفات التي ذكرناها فيما تقدم تطلق بدون استثناء على مجمل الشعر في الحقبة الجاهلية ، انما نقول انها المميزة الكبرى لذلك الشعر •

وظل الشعر على ذلك الى أن قامت الدولة العربية فتخضرم أي أنه فقد كثيرا من طبيعته مع احتفاظه بشكله ومناحيه • لكن هذه المناحي أو الاهداف قد تبدلت دوافعها • فبعد ان كانت تصدر عن اخلاص وايمان باتت آلة حرب وتهجم ووسيلة للدعاوة كما هو شأن بعض الصحف في أيامنا حتى ان الشعر تقيد بالانتماء الى الاحزاب والانضواء تحت الوية النزعات والمذاهب ، فكان لكل خليفة أو أمير أو قائد جيش ، أو زعيم قوم أو قبيلة اتباع من الشعراء يشيدون به ويلازمون بلاطه أو حاشيته أو مقره فيسبغ عليهم الخلع ويجزل لهم العطاء ويجيرهم من أعدائهم ويدافع عن حقوقهم وهم يتولون مدحه والثناء عليه ويعززون مكانته ونفوذه ويبررون مطامحه ومطامعه ويتحاملون على مناوئيه وخصومه وأعدائه ويحطون من قدرهم في مذاهبهم وأغراضهم •

وعدا ذلك ، راحت سوق المنافسات والمهاترات بين الشعراء أنفسهم طلبا للاستعلاء والبروز ، وقل من شذ منهم عن هذه القاعدة وقل من تفرغ لشعر خلو من الميل والغرض • غير أن الشعر ظل في هذه الفترة بعيدا عن المحسنات البديعية وعن الاغراب في التركيب الا ما جاء عفوا وعن غير تعمد • لكن عندما استقرت الدولة

واتسعت أطرافها وانتشر الرخاء والترف فيها وتنوعت ضروب الحضارة واختلطت في مدنها وثغورها الشعوب المختلفة ، وترعرعت فروع العلم والفلسفة أخذ الشعر يتحول عن كثير من أهدافه الاولى ويطرق مواضيع لم تكن ، حتى ذلك الحين ، من صلبه ، وراح من لم يكن الشعر من سجيته يقتحم النظم ويتورط فيه مكتفيا بالاعتماد على التحديد الذي وضعه له البيانيون من ان الشعر هو « الكلام الموزون المقفى » • وعندئذ نظمت الاراجيز وقواعد اللغة ومبادىء العلوم والحكم والامثال السائرة • على ان الشعراء ظلوا مثابرين على ما كانوا عليه من التقيد بعمود الشعر والحرص على اطاره الشكلي ، يحتذون القدماء من فحولة ويقتفون أثرهم حتى في النسيب والوقوف على الاطلال حيث لا نسيب ولا أطلال ، فأصبح الشعر عندهم صناعة الفاظ بعد أن كان تعبيرا عن شعور واحساس صادقين واعرابا عن مواقف حقيقية لا رياء ولا كذب فيها • ومما زاد في الطين بلة اختراع البديع مع حصر الهم في متانةالتركيب واجادة السبك والاغراب في التشابيه والصور والتصرف « بمعان مطروحة في الطريق ليس على الشاعر الا ان يتناولها ويضعها في قالب جديد » وفقا لقول النقاد في ذلك العصر • وقد تمادى هؤلاء النقاد في « تسمير » الشعر حتى انهم صنفوا المعاني ولا سيما في المدحوالرثاء وعينوا الاماكن التي تصلح لها وأشاروا الى مصادرها القديمة والى الذين سبقوا اليها وجعلوا منها نموذجا لمن يأتي بعدهم ، فاذا خرج عليها بعضهم ولا سيماالشعوبيين منهم قام النقاد وقعدوا واتهموهم بخيانة الادب العربي ورشقوهم بنبالهم الحادة مدعين ان الشعر العربي قد نشأ واكتمل وبلغ قمته على الشكل الذي وصل اليهم فكل جديد يحاول المحدثون ادخاله عليه ينقصه ويحط من شأنه • ولذلك نرى ان الدولة العربية التي تردت الحضارة من انى اتت وعنيت في عصرها الذهبي باقتباس العلوم وترجمة الفلسفة ودرسها والتأليف والابتكار فيها وتوغلت في التصرف وعلم الكلام قد زهدت في الشعر الاجنبي وتجاهلته ولم تعره شيئا من اهتمامها ، على انه كان رائعا في جوارها وفي البلدان التي أخذت عنها الطب والفلسفة والتصوف •

هذه الظاهرة كادت تكون عامة لكنه لا نرى من العدل ان نتغافل عن الشواذ وان تكن قليلة فان بعض كبار الشعراء في تلك الفترة قد حاولوا زحزحة النير التقليدي في انطلاقات رجعوا فيها الى نفوسهم وصدقوا القول في الاعراب عما يشعرون به في أعماقهم فتركوا لنا قطعا متفرقة اما قائمة بنفسها واما مندمجة في قصائد مدحهم وهجومهم ورثائهم ووصفهم • ومن مبتدعات تلك الفترة القصائد الصوفية التي تتميز بالرمز والغموض مما يجعلها تمت بقرابة الى شعرنا الحديث •

وهذه القصائد الصوفية والقطع التي أشرنا اليها تشفع بالشعر العربي وتؤهله للاندماج في المجرى العالمي الانساني •

عندما ضعفت الدولة العربية وتقطعت أوصالها خمدت القرائح ورك النظم وبدأ عصر انحطاط دام نحو الخمسة قرون كان الشعراء فيها أو من يعتقدون انهم شعراء يتلهون بالشعر تلهيا في منعزلاتهم ولا وكد لهم سوى تنميق الكلام والاغراب في النكتة والالغاز في الالفاظ وترديد ما سبقهم اليه الاولون ، فلم يتركوا لنا في هذه الفترة الا شوارد نادرة لا يعتد بها •

وما ان بدأت النهضة في أواسط القرن التاسع عشر حتى أخذ الشعر يستعيد مكانته شيئا فشيئا وينخل ما يأتي به ويتعرى من السخف والابتذال ، لكنه ظل معتمدا على تراث الاوائل يأتمهم في مناحيهم وأهدافهم غير متطلع الى آفاق جديدة ولا مكترث الا بما يحف به تبوا • ولم يتعد هذا الطور من الادب الا بعد دخول الثقافة الاجنبية الى الربوع الشرقية وانتشارها فيها فتدرج الشعر رويدا رويدا الى المذاهب الغربية من رومانطيقية ورمزية وغيرهما ، وجلى في ذلك بعض التجلية تاركا اثارا تحمد وتصلح ان تكون شاهدا على مروره في هذه المرحلة • على أنه ظل على اتصال بالشعب وبالقارىء

العادي يكلمه بلغة يفهمها فيصغي اليه ويأنس به • ومما زاد في تآلف الشعر والروح الشعبية ما حل في البلدان العربية من الكوارث والتقلبات السياسية ، فكان كل حادث يتجسد في الشعر نداءات وحماسيات ، أو تأوها وندبا وصراخا على صفحات الجرائد ومن على المنبر • لكن تمادي الزمن ووحدة الموضوع قد اضطراه الى الاجترار والترد فزهدت به الآذان وقصر مداه وتغلبت عليه والابحاث • فكلد يخمد الا في مناسبات أدبية تجمع حوله من يحنون الى الزمن الغابر • غير ان الكثيرين منهم ينفضون عن هذه المحافل خائبين لان نظرهم الى الشعر قد تبدل بتبدل الحالات النفسانية ولان تعمقهم بالآداب الغربية أو انهماكهم في مشاغل لا حظ للخيال والشعر فيها وانصرافهم الى السياسة والقضايا الاقتصادية والمالية والصحافية ، قد أضعف كل ذلك عندهم الاحساس الشعري • وهكذا انفصمت أو كادت تنفصم العرى التي كانت تربط الشعب بالشعراء وانزوى هؤلاء في برجهم العاجي يتناشدون قصائدهم فيما بينهم وينعمون بلذة لا يشاركهم فيها الا من كان على مشربهم •

الى جانب الشعر الكلاسيكي ، انتشر منذ أوائل هذا القرن العشرين ضرب من النثر عرف بالشعر المنثور أو النثر الشعري • ولم يكن أصحابه يتعمدون فيه الخروج على العروض ولا التجديد في الشعر ، انما كل قصدهم الاتيان بصور شعرية في نثر يتميز عن النثر العادي في مواضيع تتناول في الغالب الوصف والتفلسف• غير ان هذه الطريقة ما لبثت ان تصدى لها فئة من الشعراء حولتها عن غايتها الاولى وجعلت منها اداة للتمرد على التقاليد الشعرية وللانفلات من القيود الصارمة التي لازمت الشعر العربي طوال العصور البعيدة والقريبة ، وربما اكتفت في بعض الاحيان بانسجام التعابير ومراعاة التفاعيل والمحافظة على قواف تنثرها متفرقة هنا وهناك واختيار الالفاظ • لكنها غالبا ما تتحرر من جميع هذه القيود وتخل عن قصد في قواعد اللغة وتنسيق الجمل والتقديم والتأخير والاكتفاء والاقتضاب بحجة التجديد والابتكار والثورة على الجمود ، وتتم روحا منعشة في اللغة • ومن هؤلاء الشعراء من يفرط في الاغراب باستعمال الكلمات العامية أو النافرة أو الاجنبية بدون مبرر ، أو يشتق الفاظا لا تدعو الحاجة اليها • هذه الفوضى في الشكل لكانت تغتفر لو انها تؤدي الى وضوح أو الى روعة في الاداء • غير انهم يقولون ان من مميزات الشعر الحديث أن يكون مبهما يحتمل تآويل عديدة لان الشاعر الحق، على زعمهم ، لا دخل له فيما يصنع بل يمليه عليه لا وعيه ، وما هو الا آلة تدون ما يلقى عليها ويقولون أيضا ان اللاوعي هو الحقيقة المجردة قد طغى عليها العقل والشهوة والحضارة وما يرافقها من ظواهر كاذبة قد شوهت تلك الحقيقة الاولى ، فاذا شئنا ادراكها على بداوتها وجلاءها كما هي انبغى لنا ان نستخلصها من الاحلام التي لا بد لنا فيها ، ومن لغو الاحداث الاطهار ومن هذيان المجانين الذين ارتفع كل حاجز بينهم وبينها • هذه البدعة في الشعر العربي لم تنبت في الربوع المشرقية بل هي حركة ظهرت على أثر الحرب الاولى العالمية التي أثارت السخط في نفوس شعراء الغرب وزعزعت القيم والمبادىء التي كانت ترتكز عليها الحضارة حتى ذلك الحين ، فقلت الثقة في كل شيء وسادت فوضى الافكار والمذاهب وأخذ اليأس يستولي على القلوب وراح الشعراء يحاولون التملص من هذه الجائحة النفسانية ، فدخل في روعهم ان لا بد لبلوغ غايتهم من تقويض الماضي والعودة الى ما كانت عليه البشرية في نشأتها الاولى واقامة عالم جديد يبنى على أساس الحقيقة الازلية التي موهتها شوائب المدنية • واعتمدوا في ذلك على ما يفاجئهم من أفكار وصور تأتيهم عفوا • غير ان هذه الحركة قد تفرعت وتنوعت حتى ان بعض شعرائهم أخذ يشرك الوعي باللاوعي فيستخرج من تآلفهما شيئا يقرب من الفهم حينا ويبعد عنه حينا •

وقد انخرط شعراؤنا الحديثون في هذه الحركة ، ولا سيما بعد الحرب العالمية الاخيرة ، دون سابق استعداد وتهيئة لها ، وخبطوا فيها خبط عشواء واستعانوا على

أسكا والذئب

قصة معربة *

بقلم: احمد قبش

ان قصة ايفو اندريتش اليوغوسلافي لم تنشر في فرنسا حتى الآن ونقوم نحن بنشرها قبل ان تنشر في جميع أنحاء العالم وايفو أندريتش هو أحد كبار الادباء الابداعيين الوجوديين في هذا العصر حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦١ وهو من كبارالروائيين الابداعيين . وأبحاثه التاريخية في بلغراد تقدم لنا رواية من الروايات الابداعية الجميلة المليئة بالصور . انه يعرف كيف يبدع القصص الشيقة المليئة بالاحساس والتي تتلامح فيها المعاني الرمزية الخفية من حين لآخر وأحسن مثال على ذلك قصة « أسكا والذئب » .

جرت هذه القصة في عالم الخرفان في سهول مونتان عندما رزقت آيا النعجة القوية ذات الصوف الكثيف والعيون المستديرة مولودتها الاولى تلك المولودة التي كانت لا تفترق كثيرا عن المواليد الجدد في عالم الخرفان . كتلة من الصوف الندي المبلل بدأت تتحرك وتصرخ ، انها سخلة ولدت يتيمة لان آيا فقدت زوجها الغالي في نفس اليوم الذي رزقت فيه طفلها الصغيرة وسمتها أسكا مؤملة أن يكون اسما قويا لمستقبل باهر لهذه السخلة الجديدة .

تبعت السخلة أمها في الايام الاولى كالسخلات الاخريات تأكل ما تأكله الام وتسير على آثارها . ولكنها ما كادت تتعلم الجري على أقدامها الصغيرة التي سرعان ما تصلبت وطالت طولا لا نظير له وما كادت ترعى العشب دون مساعدة حتى أخذت أخلاقها تتوضح وحيويتها تتفتح وانقطعت عن الجري على آثار أمها ولم تصغ لثغائها بل راحت تفضل السير على الطريق التي تكتشفها لنفسها وترعى في أماكن بعيدة منفردة تختارها دون اشارة من الآخرين .

أما الام فانها لم تنقطع عن اسداء النصح لطفلتها . تلك الطفلة الجميلة الموتورة المشتعلة ذكاء ونبوغا بل

ذلك بالاساطير والرموز من شرقية وغربية على حد سواء ، وأوغلوا في التلميح والابهام حتى اذا أراد قارىء ان يلم بشيء مما يضمرونه وجب عليه ان يكون على اطلاع واسع . هذا اذا كان ما يضمرونه غير المبتذلات التي يلحقونها بالصور المبهمة والجمل العقيمة ، ولذلك اتسعت الشقة بينهم وبين جمهرة القراء .

لا يتبادر الى الذهن أننا نتنكر لهذه الحركة او نشجبها . نحن من الدعاة الى التجدد والتطور والى مماشاة العصور في تقلباتها ومبتكراتها ليكون الشعراء مرآة تنعكس عليها صورها ، بل ليكونوا السابقين وفي طليعة الذين يعدون لها طرق المستقبل . لكن لا نرضى أن نكون من التابعين على غير هدى ولا الآخذين بظواهر الاشياء لالبابها . فان هذه المذاهب الشعرية التي أتتنا من الخارج فتهافتنا عليها توا لم يكن لها جذور في أدبنا العربي ولم نتبناها عن حاجة قصوى اليها ، انما كان اقتباسنا ليا عن رغبة في مجاراة التيار العالمي ، فما فاتنا العثار ولا التهور . لكننا والحمد لله قد تجاوزنا فترة الاحتذاء والاقتداء وأخذ بعض شعرائنا يخلصون لنفوسهم ويأتون بالحميم مما يشعرون به وبما يوحي لهم جوهم وبيئتهم ومدى ثقافتهم ، فمهروا الشعر العربي ببواكير تبشر بثمار جنية يانعة .

راحت تسديها النصح بسخاء وحذر وتمثل لها كل الاخطار التي قد تنجم عن السير في هذه السبل • فهناك ذئاب متوحشة تقتات باللحوم والدماء وتهزأ بالرعاة وتقتنص الخرفان والسخلات عندما تبتعد عن القطيع • وكانت تتوجس خيفة أيضا وطالما ساءلت نفسها ما الذي تستطيعه لتعيد الفتاة عن تنفيذ ما يجول بخاطرها وما يدور في خلدها ؟ وهي بعد أنثى وليست ذكرا ؟ ولم تزل بعد أيضا برعما صغيرا !

ومهما كان الامر فقد أفضت الفتاة يوما الى أمها بما يجول في خاطرها • الى المدرسة أريد الذهاب الى المدرسة • فالخرفان تعلم أولادها كما تعلمها جماعة الانسان • وفي المدرسة بذلت الفتاة جهدها الذي استطاعته وأحرزت بعض التقدم ولكن الام كانت كلما ذهبت تستفهم عن علامات ابنتها وعن مجرى حياتها في المدرسة تجيبها المعلمة ان ابنتها معقدة نفسيا ولا يمكن أن تتقدم في صفها الا اذا قللت من حيويتها وحدة نشاطها فعلاماتها قليلة جدا الاعلامات الرياضة البدنية فقد كانت عالية بشكل يدعو الى الاستغراب •

وفي يوم من الايام الجميلة بعد أن انتهت سنتها الدراسية بعلامات متوسطة جلست أسكا أمام أمها وافضت اليها بالسر الذي يجول بخاطرها انها تريد الانتساب الى معهد البالية • فلم يكن أمام الام الا أن ترفض هذا الاقتراح بشدة وتبين جاهدة كل الاسباب المعقولة لهذا الرفض تسوق اليها الحجة اثر الحجة لتثني ابنتها عن قصدها • فقد قالت لها انه لا يوجد شخص في عائلتهم امتهن مهنة غير المهنة التي تتعلق بالنواحي الاقتصادية وقالت لها : ان الفن مهنة مليئة بالصدف ولا تشبع الذي يتخذها وهي بعد طريق محفوفة بالمخاطر طريق خداعة صعبة • وأما الرقص منها خاصة فهو من أخطر وأصعب الفنون وفضلا عن خطره فالذي يمتهنه سيء السمعة وبعد فلا توجد نعجة من عائلتها اتخذت هذه المهنة طريقا لها •

ورغم كل ذلك فقد علم أن البنت قد قر قرارها على أن تسير في هذه الطريق مهما كانت بشائر المستقبل • وعلى الرغم من أن الام الحنون كانت تلح على ابنتها لترجعها عن فكرتها لكنها عرفت أي طبع تنطوي عليه هذه الفتاة وعرفت أنها لا تستطيع أن تقاومها كثيرا وذلك أن الفتاة بعد أن قر قرارها تسجلت في معهد البالية للخرفان مؤملة من ذلك أن تجد مكانا خصبا لفاعليتها وحيويتها • وعلى الرغم أيضا من أن هذا القرار قد أساء الى أغلب جماعة النعاج والخرفان وجعلها مستاءة منه فاننا لا نستطيع أن نقول ان آيا كانت غير مبالية بالنقد والتأويل لافكارها وتصرفاتها من الخرفان وجماعة النعاج في الحظيرة والمراعي بل نستطيع أن نقول ان الام كانت تقدر ظروف ابنتها فبدلا من أن تضع تصرفاتها موضع المعالجة أمام كل انسان وجدناها تردد آراءها في سرها ولا تبوح بها الى الناس وشيئا فشيئا راحت الام النعجة تميل الى رأي ابنتها وبدأت ترى الاشياء بمنظار آخر وبدأت تقول في سرها أي خطر يوجد في الفن ؟ والرقص بعد من أنبل الفنون وهو الفن الوحيد الذي يستخدم فيه الانسان جسمه بمفرده دون مساعدة الآخرين •

كان ذلك في بدء الخريف

سهل هذا الرضى الامر على الفتاة أسكا التي اكتشفت أهليتها وميلها للرقص وأخذت تتقدم تقدما محسوسا وزد على ذلك فقد كانت البنت سليمة القلب متواضعة خفيضة الجناح في سبيل أمنيتها • ومع ذلك فانها لم تستطع أن تتخلى عن عادتها الغريبة الخطرة وهي أن تتجول بعيدا عن المراعي والرياض المليئة بجماعة الخرفان وتوصلت يوما الى مكان بعيد أخافها كثيرا •

أنهت أسكا السنة الاولى من المدرسة بعلامات عالية وكانت على وشك أن تنتقل الى الصف الثاني وكان ذلك في فصل الخريف والشمس ما تزال بحرارتها ولكنها أخذت تشحب قليلا قليلا ومعها دفعات من المطر الخفيف المرافق بقوس قزح جميل فوق مناظر جميلة رطبة • في هذا اليوم بالذات كانت أسكا مشغولة بلعبها الخفيف المسلي مأخوذة برطوبة النهار وليونة العشب

العذبـة • كانت تغامر ووصلت شيئا فشيئا الى حـدود غابة السنديان حيث توجد ممرات كثيرة والعشب يبدو أكثر عذوبة من ذي قبل وكلما تغلغلت في الغابة كلما وجدت العشب أكثر عذوبة وجمالا • وبين الاشجار الملتفة كان يعوم ضباب حليبي أبيض يشبه أثرا من آثار عيد للاغنياء غريب مظلم يتبدد سريعا أمام أشعة الشمس البراقة • بياض وبهاء وسكون وأشرعة ضبابية وهدوء مطلق كل ذلك كان يخلق جوا حالما تنعدم فيه مقاييس الاشكال والمسافات وتنعدم فيه كل قيمة ويفقد الوقت زمانه ومكانه في ذلك السحر الجميل •

أخذت أسكا تشم عبق عيدان الزان القديمة المقنطرة والمغطاة بزبد من الضباب يبعث على الدوار كقصة مليئة بحوادث الكذب الغريبة • فكانت تجول الادواح المعراة من الشجر والتي جعل منها الندى أرضا ليمونية لزجة تتناثر فيها خضرة قليلة باهتة • وكان يبدو أنه تجوال لا ينتهي وأن هذه المغامرات المتتالية لا عد لها ولا حصر • وفي احدى هذه الدوحات وجدت أسكا نفسها فجأة دون انتباه وجدت نفسها وجها لوجه أمام ذئب هائل مخيف • ذئب مسن خبيث جريء جاء يجول أنحاء الغابة حتى وصل هذا المكان والذئاب قلما تصل الى هذه الامكنة وفي مثل هذا الوقت من السنة •

وبدت أسكا أمامه في ثوبها الممزق ذلـك الثوب الذي اكتسب لونا حشيشيا وأصبح في أماكن أخرى أشقر باهتا من كثرة تعرضه لاشعة الشمس وأصبح لونها لا يختلف عن هذا الجو المحيط بها بل ظهرت ممتزجة في النباتات كل الامتزاج كأنها شيء منها وفي لون السنديان سنديان الخريف والاعشاب التي بدأت بالذبول قبـل الموت المحقق الاكيد •

انها بيئة تبعث على النشوة والسحر سحر أذهل أسكا وجعل من هـذا المكان رواء رقيقا شفافا يستطيع الانسان أن يشاهد من ورائه كل شيء • وأمامها الآن انتصب ذئب ذو عينين تتأجج فيهما الشهوة بكل معانيها بذنبه المنخفض وفمه الواسع الخداع انه لمنظر مخيف رهيب أكثر بكثير من كل تحذيرات أمها وتنبيهاتها فقد جمد الـدم في عروقها وتصلبت أقـدامها حتى غـدت كالخشب أو أقسى وبشكل غامض تذكرت أنها تنادي أهلها لانقاذها فقد فتحت فمها وأطبقته ولكن أحدا لـم يأت لنجدتها سوى الموت ذلك الموت الذي جاء ممثلا بالذئب أمامها ان الموت غير مرئي ولكنه وحيد فريـد يشاهد في كل أرجاء ذلك المكان المخيف الرهيب ذلك المكان الذي يفقد الشعور والوعي من هول ما يفاجأ به الانسان •

وأما الذئب فقد بدأ يدور حـول ضحيته الثابتـة كالصنم • بخطوات بطيئة رشيقة خطوات متحفز للوثوب وكان يبدو جليا أنه كان يراقب السخلة الصغيرة بحذر شديد وعلى ذلك فالذئاب تعرف النفور والحذر وتقوم به أمام الصيد ومن مثل الذئاب جدير بالحذر ؟ وخاصة عندما تكرر بعض أصواتها النمرة والذئب يقوم بهذه الاصوات من أجل هذا الكائن الصغير الابيض البض الجميل ليضيعه وليؤهقه وليخمد حركته حتى يكـون لقمة سائغة طرية هنية بين أنيابه البارزة •

أما الضحية البريئة فقـد أخذت تقاسي لحظات فريدة غير متوقعة • انها بعض خطوات وتكون بين أنياب الموت الرهيب وسوف تكون غارقة فيه لا محالة • انـه حادث دام لا يتصور والنهاية المحتومة تختبىء وراءه بكل بشاعتها • وهكذا فان الموت سيخطف أسكا بعد قليل على الرغم من أنها قد ماتت الآن من شدة الجزع هناك أخذت تفكر فيما تقوم به وما الذي تستطيعه وما الذي تعرفه ؟ وقلما يحصل مثل هذا الحادث وفي مثـل هـذا الوقت بالذات • لقد فكرت بالقيام بحركة خفيفة بادىء الامر ولـم تكن حركتها حركـة دفـاع بالمعنى الصحيح ولا تشبهها البتة • لم تكن حركتها الاخيرة الا بداية رقص من رقص الباليه •

قامت الصغيرة بحركتها الاولى تشدها شدا وبتثاقل كأنها ترزح تحت كابوس حركـة مـن الحركات التي تمارسها في بار مشرب من المشارب فهي ليست حركة

فنية كالتي تمارسها في رقصاتها المعهودة وبعد الحركة الاولى والرقصة الاولى ألحقتها على الفور بحركة ثانية ورقصة ثانية فثالثة وكانت الاخيرة ذات حركات متناسقة حركات انسان أفلس من كل شيء حركات انسان حكم عليه بالموت في حين كان يجب عليها أن تأتي بأكثر •

أما الذئب فقد وقف مأخوذا خلال هذه اللحظات والفتاة تتابع حركة تلو أخرى دون توقف بنفسية شعرت بالوحشية تسير في جسمها بل لم تعد تجسر على التوقف لانها لا تملك من الوقت الا ثانية بين الحركة والاخرى يمكن ان يتسرب الموت من توقف قد يحصل بين الحركتين وعلى ذلك راحت توالي حركاتها بايقاع منتظم ايقاع كانت قد تعلمته في المدرسة اذ تخيلت نفسها تسمع صوتا صارما شديدا من معلمتها يقول « واحد اثنين واحد اثنين ثلاثة » •

وجهان أو ثلاثة أوجه

وهكذا فقد قدمت في تلك الورطة كل ما استطاعت أن تتعلمه في سنتها الدراسيةالاولى • فالحركات مختصرة سريعة ولا تملأ الوقت الذي بقي جامدا لا يتحرك انه يسير في مكان غير محدود • الموت جاثم يهدد في كل حين والفتاة راحت تقلب أوجه الرقص دون أن تستند على قاعدة من قواعد التعلم في الصف ولكن معرفتها وقوتها توقفتا عند ذلك الحد ولم يعد باستطاعتها أن تبتكر أي تجديد في الرقص حيث توقفت عند وجهين أو أكثر من أوجه الايقاع تقوم بتنفيذها الواحدة تلو الاخرى بشدة وقسوة متناهيتين حركة أولى فثانية فثالثة فقط وكان هذا منتهى معرفتها فكانت مجبرة على أن تعيد نفس الحركات وكانت تخشى انها ان لم تعد نفس الحركات أن تضيع قوتها وجاذبيتها لانظار الذئب الشاخصة اليها • وعرفت أنه من العبث تذكر شيء آخر تستطيع به أن تملأ الورطة التي تتربص لها فور انتهائها من الرقص • فالوقت يمضي والذئب ما يزال ينظر وينتظر فقد ثارت شهوته وكان قد تقدم نحوها ولكن روعة الرقص الايقاعي الكلاسيكي المدرسي وجماله بقي قاسيا صلبا لا يمكن اختراقه باتجاه الفتاة • والفتاة ما زالت أصوات معلمتها ترن في أذنها « واحد اثنين ثلاثة » ولكن هذه الاصوات أخذت تضعف أكثر فأكثر ثم بدأت تغيب عن سمعها انها استنفذت كل معرفتها الضئيلة واستخدمتها استخداما حسنا ولكنها فرغت الآن من كل شيء ولقد خانتها المعرفة ولم تقدم المدرسة لها شيئا أكثر من ذلك وعليها الآن أن تعيش ولتعيش يجب عليها أن تتابع الرقص فانتقلت الى رقصة من أطراف ما تعلمته في المدرسة ومن أطراف ما تعرفه ذلك الرقص الذي لم يكن من نطاق مدرسة ولا من نطاق علم في شيء من الاشياء • من يعلم فيما اذا كان هذا العالم يشاهد من البدء والى الابد ما تشاهده الآن هذه الغابة البكر خضوع الضعيف أمام القوي وتلذذ الشرس المتوحش بعذاب الصغير البريء ••!

والآن على الرياض الخضر وعند اجتياز الممرات الضيقة وبين جذوع السنديان الرمادية الغليظة وفوق السجف الصقيلة من الاوراق الرمادية التي تكدست هنا وهناك منذ مئات السنين كانت أسكا السخلة الصغيرة ترقص وترقص ثم ترقص صافية سريعة ولم تصبح نعجة بعد بل ما تزال سخلة غضة العود خفيفة الظل تهتز اهتزاز قطيط صغير التف حوله الغرب فجعل منه كبة بيضاء أخذ الهواء يعبث بها لخفتها ورشاقتها فأخذت تصبح رمادية عندما تدخل في هالة رقيقة من الضباب ولماعة مضيئة كالسراج عندما تجد نفسها في بقعة خالية من الشجر مشتعلة بأشعة الشمس وكل شيء يجري بهدوء دون أن تنقطع عنها أنظار وخطوات الذئب العجوز ذلك العدو الدائم اللدود ذلك العدو الذي لا يرغب قطيع من قطعان الماشية في رؤيته •

هذا الذئب الماكر الذي خلا قلبه من الرحمة وتمتع بذكاء أصبح مضرب المثل والذي يستهزىء بالانسان والحيوان تخلى بادىء الامر عن المباغتة والغدر • هذه المباغتة تغيرت شيئا فشيئا الى اعجاب وتطفل غريب لا يقاوم • كان يقول في سره دون أن ينسى ما يجري

أمامه الآن : سأمتع عيني أولا في هذا المنظر العجيب فأنا لا أطلب من هذه السخلة الخليعة اللحم والدم فقط بل أنا أطلب الرقص ذلك الرقص الماجن الخليع الذي يسلي الانسان بجنون • وأي ذئب من الذئاب لا يشاهد في الفتاة اللحم والدم فحسب بل يطلب أيضا اللعب المثير الجميل • وأنا لا أطلبه الا لفترة قليلة وبعدها أستطيع أن أثب عليها وأفترسها هذا أحسن ما يمكن عمله ولكن ليس قبل نهاية الرقص وليس قبل أن أشاهد كل هذه الاعاجيب الى نهايتها • فكان الذئب يتابع الصغيرة وهذه الافكار تجول بخاطره يقف عندما تقف ويمد خطواته عندما تسرع في ايقاعها الموزون •

أكثر من رقصة عجيبة

لم تفكر أسكا في شيء سوى جسمها الغض الفتي المنسوج من الصفاء ومن فرحة الحياة ومع ذلك فهي محكومة بموت قريب لا مفر منه فكانت تطلق قوة غير منتظرة واتجاها وحركات مختلفة لا تدخل في المعقول • انها تعيش وسوف تعيش وقتا طويلا ما دامت ترقص وما دامت تستطيع الرقص وليس هذا رقصا بل هو أعجوبة من الاعاجيب وهذا الشعورالمبهم من الاعجاب أدار رأس الفتاة الى الاتجاه الذي تسحبه السخلة المستميتة اليه • انها تقوده بحبل مشدود غير مرئي الى حلقة غير مرئية أيضا وبينما كانت الفتاة تسير سير النائم « المروبص » دون أن تنظر أين تقع قدماها ودون ان تحسب أي حساب للاتجاه الذي تأخذ الذئب اليه بينما كان ذلك يجري لم ين الذئب يكرر هذا القول في سره « ان لحم ودم هذه الفتاة لن يهرب مني بالتأكيد وأستطيع أن أحوزه في أي وقت أريده وحالما تطلبه نفسي ولكن لنر هذه الاعجوبة أول الامر ثم هذه الحركة ثم تلك وكل واحد منهما كان ينتقل الى شيء جديد في الحركة والفتنة وتعليل النفس بالقادم الاكثر فتنة والفتاة تنتقل من بقاع خالية من الاشجار الى أخرى مظللة الى طرق رطبة وفوق السجف المنسوجة بأوراق الشجر اليابسة التي تكدس بعضها فوق بعض منذ آلاف السنين •• وهكذا عاشت الفتاة مئة حياة وحياة اعتقدت أنها عاشتها وملكتها وكانت تشغلها بكل طاقاتها تشغلها وتتعمق في كل واحدة منها •

نحن لا نشك بالقوة والاستطاعة التي يكنزها كل كائن حي ولكننا لا نملك أية فكرة عن العمل الذي نحن جديرون به انا نعيش ونموت دون أن نعرف ما نستطيع أن نحققه من أعمال هذه الطاقة لا نكتشفها الا في ساعة رهيبة في ساعة فريدة من ساعات العمر كما حصل للفتاة أسكا التي كانت ترقص رقصا استعادت فيه حياتها المنتزعة منها • لم تشعر بأي تعب وكان الرقص يجر بعضه بعضا بقوة تتجدد باستمرار فهي ترقص وتبتدع أوجه الرقص المتجدد ذلك الرقص الذي لا تعلمه مدرسة ولا أية مدربة من مدربات البالية انه رقص ابداعي عجيب •

آلاف المنافذ في الغابة

عندما كانت أسكا تلاحظ أن الذئب قد صحاوتذكر نفسه تقوي خفة رقصها وسرعته • فتقوم بوثبات غريبة فوق جذوع الاشجار مما يجعل الذئب يضحك ويستعيد اعجابه ورغبته في رؤية كل شيء جديد • وبوثبة واحدة كانت تتسلق أشجار الزان المبعثرة والاغصان الصغيرة التي تغطيها فتنتصب على أرجلها الخلفية وتتبدل وتتغير على شكل دوامة بيضاء مفرحة تسحر العيون ثم تنتصب على أقدامها الامامية فتجتاز بخطوات صغيرة تسرع فيها بسعفة مجردة من الاشجار ما تزال مغطاة بالحشيش وعندما صادفت تلا حليقا من الشجر صعدته والقت منه رأسا منخفضا تقتفي تحته اثر عربة مجرورة على طول الممر المكدس بالاوراق اليابسة وأسرعت اليه بما تستطيعه أصابعها المتحركة تتحسس فيه مفتاح النجاة • فقامت بانزلاقة بارعة وهرب وكالبرق والذئب يتبعها متدحرجا في كل طريق حتى لا يفقد الرقص وما انفك يردد « اللحم والدم في هذه السخلة لي بلا ريب ولكن ليس الآن بل بعد أن أشاهد رقصها الايقاعي الموزون وأشبع شهوتي ورغبتي » كان يردد هذا القول باختصار في كل مرة بايمان يتناقص قليلا قليلا وشهوة عارمة

تلتهب أكثر فأكثر والرقص مثير للشهوة والشهوة طاغية على كل شيء • أما الوقت فلم يشعر به أحد لا الذئب ولا أسكا لم يشعرا به ولم يقيساه • انهما يعيشان بـه ويتمتعان ويشبعان نهمهما الخمري المسكر •

أما آبا الوالدة فعندما سمعت والذين آلمهم فراق أسكا صرخات الالم تنتشر بين جماعة الخرفان لفراقها أشاروا الى راعيين من رعاتهم كانا أكثر جرأة وقسوة ليذهبا وليفتشا عن السخلة الصغيرة المتمردة الضالة • أما الاول فقد أخـذ هراوة صلبة من ثمر القرانيا وحمل الآخر بندقية من نوع الموسكيتون لا تنكسر ، كانت هذه البندقية من النوع القديم المزين • اذ يحكى أن والد هذا الراعي صاحب البندقية كان قد قتل بها ذئبا جائعا على حاجز هذه الحظيرة ولكن هذه القصة يعلم اللّهصدقها من كذبها والله يعلم أيضا كيف جرت بالمعنى الصحيح • ومهما كان الامر فهذا السلاح هو السلاح الناري الوحيد في رياض مونتان ويستخدم غالبا لاظهار شجاعة الرعاة وليتأكدوا أنهم ليسوا نهبا للذئاب في تلك المنطقة •

وعنـدما وصل الراعيان الى أطراف الغابة ترددا برهة فقد تساءلا فيما بينهما ما هو الاتجاه الذي يجب عليهما أن يأخذاه وللغابة ألف مدخل ومن أيهما يستطيعان معرفة آثار حافر السخلة الذي لا يكاد ينظر لصغره ؟ فما كان منهما الا أن تبعا الدعسات المطبوعة على العشب في الاماكن التي وجـدا فيها العشب مأكولا وساعدهما الحظ فما كادا يسيران بضع خطوات في الغابة ويصعدان على تل هناك حتى شاهدا عند أقدامهما في أسفل التل مشهدا غريبا يأخذ بمجامع القلوب والابصار فتوقفا في مكانهما جامدين وعندما تغلغلا بين الاغصان استطاعا أن يراقبا مشهدهما دون أن ينظرا • وآنذاك كانت أسكا تجتاز هذه البقعة المعراة بدورات حاذقة ماهرة على نغمة واحدة منتظمة والذئب خلفها يسير على بضع خطوات منها بجسده العاري وبوزه المنخفض •

بقي الراعيان أثناءها جامدين لا يتحركان بعض الوقت ثم بدءا بعدها بالحركة فوصلا الى أول شجرة كانت أسكا أثناءها قد غيرت فجأة شكل وايقاع رقصها وعندما أدار الذئب رأسه نحو خاصرته باتجاه الراعيين خفض الراعي الكبير رأسـه وبندقيته ثـم أطلق النار فارتجت كل الغابة بذلك الصوت المدوي وأخذت الاوراق الميتة تتطاير هنا وهناك والعصافير النادرة في ذلك المكان أخذت تطير جفلة خائفة وفي أعماق الغابة حدث شيء غير منتظر حدث انقطاع واضح في وسطها فقد سقطت أسكا على الارض واختفى الذئب على شكل ظل أخضر تواوى عند ذلك نزل الراعيان الى مكان الحادث فوجدا أسكا قد غابت عن الوعي وسقطت في مكانها ولم يكن في جسدها أي جـرح ولكنها كـانت مغطاة بالاعشاب الطويلة النامية انه جسم خلا من الحياة والى جانبه خط طويل من الدم الاحمر القاني تركه الذئب خلفه أثناء الفرار •

عاد الراعي الكبير فحمل بندقيته على كتفه وأخذ الراعي الصغير هراوته بين يديه وأخذ يتابعان آثارالذئب المدماة فكانا يسيران خطوات بطيئة حذرة ولكنهما لم يكونا بحاجـة لان يذهبا بعيدا فـلم يكن لدى الذئب المجروح أية قوة للهرب أكثر من مئة خطوة سقط بعدها في أجمة من الاجمات لان جسمه الخارجي كان مقطعا ينزف منه الدم وفي الاجمة حفر الارض بأقدامه الامامية وخبا في الحفرة جسمه وألقى رأسه الى الوراء وشفاهه مكشرة فيه وعندما وصل اليه الراعيان استطاعا بسهولة أن يضرباه الضربة التي أجهزا فيها عليه •

لم تكد الشمس تصل الى منتصف دورتها عندما عاد الراعيان يجتازان المراعي ويمران بين قطعان الماشية والزرائب أما الشاب الصغير فقد كان يشد الذئب الى نطاقه من رجليه الخلفيتين ويجر بدون عناء جثته الكبيرة والدم ينزف منها ، أما الشاب الكبير فقـد كان يحمل السخلة الصغيرة البيضاء حيث وضعها حول رقبته كمـا يضعها الرعاة عادة فأمسك أرجلها الامامية بيده اليمنى وقوائمها الخلفية بيده اليسرى ورأسها يتدلى على كتفه الايسر والحياة جامدة فيه ، وما كادا يصلان الى رياض

مونتان حتى عمت الفرحة وتبودلت التهاني وعم الصخب الضاحك أرجاء المكان وتعالت الاغاني وتبودل العتاب وتعالت صرخات الفرح والغبطة والحبور •

أما أسكا فقد استعادت ذاكرتها وعادت الى أهلها بهدوء خفيضة الجناح وهي تضاهي في بطولتها أية مخلوقة وضعت الصوف على عاتقها • وبدون اظهار للعضلات ودون اطناب باعمالها الخارقة حكت قصة انتصارها الذي لا يضيرها أنها قامت به انقاذا لحياتها • وبكت أسكا من الفرح وجنت من السرور وراحت أمها تدور حولها مع جماعة الخرفان وتثغو معلنة اعجابها بتلك الخوارق التي قامت بها •

فوق الالم والموت

بقيت أسكا مريضة مدة طويلة من الزمن وظلت مدة كبيرة تستعيد لنفسها مغامراتها الرهيبة ولكن حيويتها وارادتها على العيش واهتمام أمها بها وحنو كل سكان مونتان عليهـا سـاعدها على النصر والخلاص من ألمها فشفيت وأصبحت فتاة هادئة مثالية وتلميذة بالمعنى الحق ومن النجوم اللامعة في عالم الرقص • وكتب عنها الكثير في أماكن كثيرة من العالم ونسخ عن قصتها الكثيرون • وتغنى الناس كيف استطاعت السخلة الصغيرة أن تلعب بعقل الذئب الماكر الكبير وكيف كسبت منه الوقت في حين أن أسكا لـم تتكلم بشـيء عن مصادفتها للوحش المفترس ولا عن رقصها أمامه في الغابة بل التزمت الصمت المطلق لان أي انسان لا يرغب في استعادة الاشياء المهلكة في حياته • ولم تستعد هذه الذكرى الا بعد سنين بعيدة من الحادثة وبعد أن خفت حدة الذكرى الاليمة وعندها وضعت رقصة البالية الوصفية المعبرة المشهورة التي سماها النقاد والجمهور « الرقص مع الموت » وأما أسكا فقـد كانت تدعوها دائما « الرقص من أجل الحياة » •

وهكذا أصبحت أسكا الراقصة المشهورة في العالم بأكمله وأصبحت لها حياة مديدة خالية من الضباب وماتت بعد حياة امتدت كثيرا واليوم على الرغم من بعد السنين على وفاتها ما يزال الناس يرقصون رقصتها المشـهورة التي يبدو فيها الفن والارادة المنتصرة على كل ألم وعلى الموت أيضا •

كلمات صغيرة

شعر: شوقي بغدادي



فلتقتل كلمــــات الشعراء
ولتصبح ألفاظــا جوفــاء
ان لــم تنهض ببنــاء
وتفجـر في الصحراء المـاء

١٩٥٩

●

ياليتني أبدأ مـن جـديد
كأنني وليـــد
ياليتني أقــدر أن أعيــد
ترتيب أشيائي كما أريــد

١٩٦٠

●

ان الرجــال وان بكــوا
لا يسقطون مـع الدمـوع
ان الدموع طهارة
وشـرارة بــين الضلوع
والقلب لـولا الدمـع بيت
في الظـلام بــلا شـموع

●

هز الشجرة يسقط منهـا
الثمـر الناضـج والمـلآن
لا ترهب أن تأكل منهـا
أو تخجل أنـك جوعــان
ليس الحب نــداء الجنس
ان الحب هــو الانسـان

●

آه ما أصعب في هذي القضية
أن ترى حولـك عصر البربرية
وترى نفسك كـي تنقـذه
راجعا بالناس حتى الابجدية

١٩٦١

●

الصديق في مدرسة محمد

بقلم الدكتور : صالح الأشتر



هذه صفحة مشرقة من تاريخنا المجيد ، أعرض فيها الملامح الكبرى لصورة عظيم من عظمائنا صنعته مدرسة محمد ، فجعلت منه بطلا في القيادة والحكم ، وصاغت منه نموذجا فذا للعبقرية العربية ، وأهدته الى البشرية الضالة ليسهم في قيادة قافلتها الى نور الحق والخير والايمان •

كانت الجزيرة العربية منذ حادثة الفيل تتهيأ لحدث كبير ، وكان ظلام الجاهلية يرهق النفس العربية فتغالب اليأس والقلق ، وتحس احساسا غامضا بأن هناك انقلابا قريبا سينقذها من حيرتها ، ويخلقها خلقا جديدا وكانت الآمال كلها ترقب شعاب مكة ، راجية أن يبزغ منها الفجر الجديد •

وفي مكة ، في حي من أحيائها يسكنه بنو جمح ، كانت أسرة يتيمة صغيرة ، تعيش حياة هادئة في قلب ذلك المجتمع القرشي الصاخب ، وكان سيد الاسرة أبو قحافة ، شيخا ضعيف البصر ، وكانت تحته زوج صالحة برة هي أم الخير ، وقد رزقهما الله ولدا وبنتا ، وكان الصبي قرة عيني أبويه ، فنشأ في رعايتهما نشأة مستقيمة خيرة ، وشب على ذلك ليكون أمل والديه في مستقبل أيامهما !

ولقد أتاحت مكة لفتاها كل ما لديها من ثقافة وغنى ، فكانت التجارة مدرسة عبد الله بن أبي قحافة ، وهي مدرسة مكة الكبرى ، وفيها تم تكوينه الثقافي والمسلكي ، ومنها خرج ابن أبي قحافة بالمال الجليل والسمعة الطيبة ، وكانت رحلاته التجارية مع قوافل قريش الى الشام واليمن تعود به الى مكة رابحا موفورا ، فيبسط يده في الخير والمروءات والاحسان الى الناس ، حتى أصبح رئيسا من رؤساء قريش ، يوكل اليه أمر الديات والمغارم ، فاذا حمل دية أمضت قريش حملة وصدقته ولم تخذله ، ولذلك سمي منذ الجاهلية (صديقا) •

كان الصديق صافي الطبع ، حاد الفؤاد ، نير البصيرة : مر ذات يوم برجل سكران في وضع يزري بالانسان ، فتقزز منه ونفر من الخمرة فحرمها على نفسه ولم يشربها في حياته أبدا ! وصحب أباه يوما الى مجمع الاصنام فرأى الجباه الابية من رجال قريش تعنو لها ، فاقترب من أحدها وقال له : اني جائع فأطعمني! فلم يجبه ، فقال : اني عار فاكسني ! فلم يجبه ، فألقى على الصنم صخرة ، فخر لوجهه ، وقفل نافرا من الاصنام ، فلم يسجد لصنم قط !

وكانت للشاب الصديق ذاكرة واعية أعانته على

حفظ الانساب ، حتى أصبح في قريش أنسبها وأعلمها بما فيها من خير وشر ، وأصبح القرشيون يأتونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، فيجدون فيه رجلا محببا صائب النظرة خمير الرأي •

وكان أحب شيء الى قلب الشاب ، اذا رجع من أسفاره التجارية الى مكة ، أن يأوي فيها الى فتى من آل هاشم ، وجد في نفسه صدى لذاته ، فأحبه وآثره ، حتى اذا كانت سفرة الى الشام في قافلة تجارية يقودها أبو طالب ، لم يكن فرح الصديق بما له من نصيب فيها ، بل كان فرحه بصاحبه الفتى الهاشمي محمد ، يسافر مع القافلة في صحبة عمه أبي طالب ، وكذلك شاء ربك أن يصل محمد والصديق الى بصرى ، وأن يلقيا فيها راهبها بحيرا ، وأن يسمع الصديق ما قاله الراهب لصاحبه ، فيزداد تعلقا به وحبا له ، وأصبحت مكة من بعد تشهد تلاقي الصديقين على نجوى ، حيث يفضي كل منهما الى صاحبه بذات نفسه ، وان في نفس كل منهما لألما عميقا لهذه الوثنية المظلمة التي تسد بأرجاسها على العقل العربي كل منفذ للنور ، وان في نفس كل منهما لأملا عريضا بأن يطلع الفجر القريب ، فيمحو بضيائه ظلمة الجاهلية ، ويغرق مكة وشعابها بالسنا والنور •

وأشع الخيط الاول من خيوط الفجر حين أقبل محمد على صاحبه ذات يوم ، وكله خوف وقلق ، ليحدثه حديث ذلك الهاتف الذي يناديه باسمه كلما خلا الى نفسه ، فيرعبه ويفزعه ، وكان ذلك سرا من أسرار محمد لم يفض به الى غير الصديق ، وكان وراء هذا السر صرخة الوحي التي هزت ضمير محمد ، فعرفت الجزيرة العربية أن نور النبوة قد أشرق من مكة ، يدعو العرب جميعا الى التوحيد ، وأسرع أبو بكر الصديق الى صديقه وأليفه ، فكان أول من آمن به من الرجال •

وبدأ التاريخ منذ ذلك اليوم يخط سيرة أحد أبطال العرب : أبي بكر الصديق ، ويبدأ الايمان يصنع معجزته الخالدة في النفوس : فهذا أبو بكر يخرج للدعوة الجديدة عن كل ما تملك يداه ، وانه لمال كثير جمعته تجارة العمر وثمرته جهود السنين ، وللنبي أن يتصرف به كيف يشاء أو تشاء الدعوة الزاحفة ، وهذا أبو بكر يستهين برصيده من الحب والهيبة في قريش ، فيرسل صوته بالدعوة الى الاسلام جهرة ، فيتألب المشركون عليه ، ويضربه عتبة بن ربيعة العبشمي بنعلين مخصوفين على وجهه ضربا شديدا أدماه حتى لم يعد يعرف أنفه من وجهه ، ويكاد المشركون يقضون عليه لولا أن أسرعت بنو تيم تحمي رجلها وأبو بكر لم يشغله ما ناله من أذى عن صاحبه ، فلا يكاد يفيق من اغمائه حتى يسأل من حوله عن محمد ليطمئن عليه : ما فعل رسول الله ؟

وعرفت مكة منذ ذلك اليوم أن محمدا له أصحاب يستهينون بالموت دونه ، وأنهم نماذج للاخلاص والايمان والتضحية لم تعهدها الجاهلية في يوم من أيامها ••

وازداد أبو بكر في خدمة الدعوة عزيمة ومضاء ، فاذا هو يدعو الى دين الله ، فيستجيب له نفر أسلموا على يديه وكانوا من السابقين الى الاسلام ، وفيهم عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله ، وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن أبي سلمة وغيرهم كثيرون •

وكان أبو بكر يلقي بنفسه في كل خطر يحيق بصاحبه ، ليحميه ويقيه بنفسه ، ولقد رأى جمع قريش ذات يوم وقد أحاطت بمحمد لتقتله ، فأقبل يدفع الناس عنه ، ويصرخ في وجوههم : ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم ! فترك المسلمون محمدا وهجموا على أبي بكر يضربونه ويجذبون بلحيته وشعره ، وهو يناضل ويجالد ، بقلب ثابت وايمان لا يتزعزع •

وزاد المشركون على محمد وأصحابه عنتا وجورا، فهاجر المسلمون بدينهم الى المدينة ، وصحب أبو بكر النبي في هجرته ، فكان « ثاني اثنين اذ هما في الغار ، اذ

يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينة عليه » •

وفي المدينة بدأ محمد يبني دعائم المجتمع الاسلامي الاول ، وأبو بكر الى جانبه ، فهو وزيره ومشيره ، لا يفارقه أبدا ، ويشهد معه الغزوات كلها ، وفي بدر ظل شاهرا سيفه قائما خلف رسول الله ، خشية أن يصل اليه أحد من المشركين ، وكان عبد الرحمن بن أبي بكر يومئذ مع المشركين في بدر ، فلما أسلم قال لابيه : لقد أهدفت لي — أي أشرفت كالهدف — يوم بدر فانصرفت عنك ولم أقتلك ! فقال له أبوه : لكنك لو أهدفت لي لم أنصرف عنك ! وهكذا يعلن أبو بكر أن ايمانه بالدين الجديد لم يدع في قلبه الكبير مكانا لاي عاطفة بشرية توهي من عزيمته على الجهاد في سبيل الله ورسوله •

وكأن مكانة أبي بكر من النبي تغيظ المنافقين ، فاذا هم يرون السبيل الى أذيته حين يخوضون في حديث الافك ، وحادث الافك امتحان قاس لابي بكر في ابنته عائشة ، وما أشد ألم الرجل الكبير اذ يجد ألسنة السوء تلغ في عرض ابنته كذبا وافكا وزورا ، وهو لا يستطيع أن يحرك ساكنا ، حتى نزلت البراءة القرآنية من السماء تمجد فضيلة المرأة العربية وتحيي عفافها وشرفها ، ويظل بذلك رأس أبي بكر مرفوعا جليلا ، ويخيب أمل المرجفين المنافقين •

وتتوالى الغزوات ، وأبو بكر يخوض غمارها ، يقود سراياها ، ويحمل ألويتها ، حتى اذا كان السلم بعث به النبي أميرا على الحج ، سنة تسع للهجرة ، ثم يثقل المرض على النبي فيأمر صاحبه أن يصلي بالناس مكانه !

وعندما يشاء الله أن يقبض نبيه اليه ، تنهار أعصاب الصحابة لهول المصاب وروعة الرزيئة ، وتكاد تكون فتنة تفتح أبواب الشر والاذى لولا أن علت صرخة أبي بكر في الناس : « أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ! » وهدأ الناس ، وسكتت الفتنة ، وأيقن المسلمون بوفاة النبي ، وانجلت الغمرة عن مبايعة أبي بكر بالخلافة !

هذا أبو بكر الصديق ، الخليفة الراشد الاول ، شيخ في الستين ، حمله المسلمون — اذ با يعوه — أعباء جساما ، وأسلموا اليه الامانة التي مات عنها النبي ، وانها لتبعة كان ينهض بها محمد ، ومحمد نبي ومن ورائه الوحي ، أما الآن فلا نبوة ولا وحي ، وأمام الخليفة أيام عصيبة قلقة ، وأهوال سود شداد •

« أيها الناس ! اني وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينوني ، وان اسأت فقوموني ! الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح — أرد — عليه حقه ان شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله !•• أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم !• »

وكذلك كان عهد الخليفة للمسلمين ، وقد وفى أبو بكر بعهده ، فلم ينقض أمرا أبرمه النبي ، وقبض الخليفة الشيخ على مقاد الحكم بحزم رائع وتدبير عبقري ، وعرف المسلمون أنهم أوكلوا أمرهم الى رجل قادر ، صنعته الدعوة الاسلامية خير صنع ، وهيأته وأعدته ليكون كفء المهمة العظيمة التي ألقيت على عاتقه •

لقد ظهرت عبقرية أبي بكر في الاعمال الجليلة التي قام بها مدة خلافته القصيرة الامد ، واستطاع أن ينجز في أقل من ثلاث سنوات أعمالا مجيدة تكلل خلافته بالغار والفخار ، ولقد أمضى السنة الاولى في حروب الردة ، تلك الفتنة ، الطاغية الباغية التي كادت تقتلع جذور الاسلام من جزيرة العرب ، لولا عزيمة الخليفة الشيخ ، وتجهيزه الجيش بعد الجيش لمحاربة كل مرتد وكان صوته الغاضب يعلن تصميمه وعزمه « والله لاقاتلن

من فرق بين الصلاة والزكاة ، والله لـو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم على منعه » !

ويقول له عمر بن الخطاب : « يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم ! » فيصيح به أبو بكر « رجوت نصرتك يا عمر وجئتني بخذلانك ، أجبار في الجاهلية وخوار في الاسلام ! لو خذلني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي » !

ووقف التاريخ مبهور الانفاس ، يشهد معجزة الايمان ، ويرقب الخليفة الشيخ ، يقف في وجه الجزيرة الثائرة ، ويصمد للقبائل المتمردة ، في دأب مؤمن وعزيمة شابة لا تكل ، حتى ينتزع النصر ، ويخضع الجزيرة العربية للاسلام من جديد ! وعند ذلك يعرف الذين خالفوا أبا بكر في سياسته الحازمة أنهم مخطئون ، ويقبل عمر بن الخطاب على أبي بكـر يقبـل رأسه ، اعترافا بفضله العظيم على الاسلام في قضائه الحازم على المرتدين العصاة المتمردين ، ويقول للرجل البطل الذي حمل وحـده تبعة حزمه في قمع الردة : أنـا فداؤك ولولاك يا أبا بكر لهلكنا !

ورجعت الجيوش الاحد عشر من الردة غانمـة مظفرة ، فوجه بها أبو بكر الى حدود فارس والروم يغزو الامبراطوريتين العظيمتين ، ليضمن للاسلام حماية حدوده وتخومه ، بعد أن حماه من الداخل ، وليشق الطريق لتوسيع رقعة العالم الاسلامي ونشر دين الله في الآفاق .

ويكفي أن نضيف الى هذه الاعمال المجيدة نهوض أبي بكر بجمع القرآن ، واختياره أخيرا عمر بن الخطاب خليفة من بعده .

هذه خطوط سريعة من سيرة أبي بكر ، البطل العربي العظيم الذي تلقفه الاسلام من الجاهلية تاجرا صغيرا ليس بذى شأن ، فصنع منه نموذجا رائعا للحاكم القائد الراشد الملهم ، وألقى على كتفيه أمانة ثقيلة نهض بها خير نهوض وأقواه .

تاجر صغير مـن بني تيم ، أذل قبيلة في قريش وأقلها ، كما يقول أبو سفيان ، تجعل منه مدرسة محمد حاكما عملاقا ، يقف أبو سفيان نفسه أمامه ـ وهو من هو شرفا في قريش ومكانة ـ يتملق أبا بكر ويتذلل له ، وأبو بكر يصيح عليه ، ويقبل أبو قحافة على صياح ابنه ، ويسوءه أن يرفع ابنه صوته على مثل أبي سفيان ، فيقول له : لقد تعديت طورك يا بني وجزت مقدارك !

فيبتسم أبو بكر رضي الله عنه ، ويبتسم كل من حضره من المهاجرين والانصار ، ويقول لابيه :

يا أبت ان الله رفع بالاسلام قوما وأذل به آخرين!»

رحم الله أبا بكر ، لقد كان يعرف أن الاسـلام العظيم قد خلق العرب خلقا جديدا ، وأنه رفع من قدر أبطاله حين أعدهم لحمل رسالته الخالدة الى الدنيا ، رسالة الايمان والحق والخير والنور .

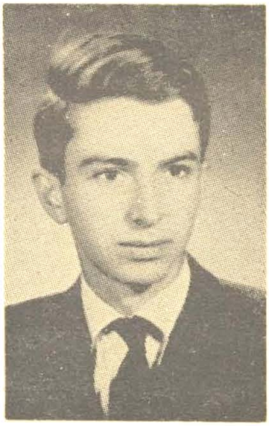
والسلام عليكم ؟

الدكتور صالح الاشتر

سذاجة

شعر

فاروق مردم بك



أنا لست أعرف كيف تدرس المنائر
وتنتف البحر السباع
أو كيف يختنق الشراع
وبحاره الهوجاء فنجان صغير
(الكون غادر
الحظ عاثر)

* * *

أنا لست أعرف كيف يخترع الضياع
ويصاد من تحت الاظافر
أو كيف تنحدر النجوم الى المقابر
ربداء صاخبة الهدير

* * *

أنا شاعر طفل بسيط
أهوى وأعرف أنني أهوى
وأن الشمس ان هرمت وصارت قاتمة
وقعت وراء الافق يبلعها المحيط
وتنفست في الجو شمس باسمة



ـ فاروق مردم بك ـ

للآخرين

قصة للدكتورة انعام المسالمة

كان لا مفر لي من وداعه ، والبعد عنه ، فقربنا لا يمكن أن يسعدنا ، الا سعادة آنية عمياء ..

فقربه مني ، لا يلبث ان يزيد في لوعة حبي ، وقربي منه ، سيزيد في تعاسة فكره ، وشقاء روحه . ولهذا ، كان لا بد لاحدنا من ان يهجر الآخر .. ولا بد لاحدنا من ان يكون البادىء . ولهذا اخترت أنأكون البادئة ، لانني أحسست أنه لن يكون باستطاعته التضحية بقربي ، خشية ايلامي ، ولهذا عقدت العزم على هجره ، وصممت على ان أتركه ، وادع قلبي يغلي في أتون الشوق ، وعواطفي تحترق في مجامر بخور المعابد في بلادي الساجية ، وسأسكب دموعي في بحور المسافات النائية لتطفىء ما بعواطفي من تأجج ولتمسح على جراح قلبي الملتهبة بيد الزمن الآسية ، سأكتفي بالتطلع الى بقايا الشمس التي تشرق كئيبة على أرضي البائسة .. وسأقتنع بفلول خيوط القمر الشاحبة ، التي لم تبتلعها بعد هذه الدوامات السود ، وتلك الكتل الضبابية القاتمة التي بدأت تبتلع العالم من حولي ، وسأسألها ان كانت قد مرت على مربعه ، وكيف خلفته وراءها ، وهو عالمي الذي تمنيت يوما ان أفني وحشتي فيه ، وان أنهي آلامي بين يديه الحانيتين ..

وسيظل العالم الخارجي من حولي يتمطى ببلاده ، غير عابىء ، بي ، وبأيامي التي أعود اليها على جناح مخيلتي فأيام العالم ذهبت ، وماضي العالماندثر ، وأصبح كئيبا تثقله آلام الضحايا ، وتذهب بجماله جراح تثخن أجساد الناس وأرواحهم ، بعد ان أصبح العالم مجنونا ، أحمق ، متنمردا ، جعل ملايين الناس ينظرون اليه بقرف وذعر .. والعالم في تمطيه البليد ، واسترخائه المقيت ، وأنا مع أيامي الماضية ، أيامي التي لا يمكن أن تصبح غريبة عني ، ولا قديمة في سجل حياتي ، بل ستظل الرطيبة المورقة ، رغم قدمها ، والتي لن يعفي عليها الزمن طالما هفت بقعة في الارض الى قصة قلب لتخضر بعدها وتزهر ، وطالما داعبت مقلة حزينة ، دموع حرى ، تريد ان تنسكب ، وطالما اشتاقت وجنة شاحبة الى نور واشراق ..

في يوم من تلك الايام الرائعة تطلعت لي وحملت ابتسامتك الموهنة ، أكثر من معنى مرير ، فالمرارة التي خالطت أفراحنا ، حينذاك ، كانت أشد أقسى واشد وآلم لنفسينا من كل الافراح التي كان من المفروض ان نحياها في تلك اللحظات الحاسمة ، التي أدرج فيها اسمك وادرج فيها اسمي ، في عداد المتخرجين من الكلية .. ساعتها تطلعت الى عينيك اللتين كنت أخشى الالتقاء بهما ، وأحسستك تقول لي : الى متى سنظل مندفعين مع حماقة العالم ، وسائرين في مداره ؟

الى متى سنظل نحارب عواطفنا ، ونقف عثرة في طريق التقاء قلبينا اللقاء الابدي ..

هذا عدا من الحديث الطويل ، الطويل الذي باحت به عيناك ..

أما الآن ، فأنا لم أعد بحاجة الى عينيك لتحدثاني ، بعد ان تناءت بنا الديار ، لتدنينا من الذكريات الماضية

أو لم يعد حديث العيون بذي بال ، طالما أصبحت على بينة من جمال الصورة الحقيقية لاعماقك وطالما امتزجت أسطورية تصوراتنا وأحلامنا ببراءة الصمت ، دون ان تضخمها العبارات الرجراجة ، أو تسيء اليها الكلمات الجامدة •• وطالما لم يدنسه العالم الخارجي بما فيه •• ذلك ان الالتقاء الصامت الذي كنت اطعمه أعصابي ، وأرويه من سيل شراييني ، وأنا أجزع عليه تارة وافيض عليه من حناني تارة أخرى ، ما زال يحمل اسطورة اللقاء •• بينما الرفاق من حولنا يشيدون الى هذا الالتقاء ضاحكين متهامسين ، الى أننا كنا في عالم خاص خلق قبل ان تشرق على هذا العالم شمس الحياة ، وكانت كل اشارة من هذا القبيل تعبث بعواطفي أو تدعني اتساءل ببساطة المحبين لماذا لا نحيا في هذا العالم معا ، مثلما تلتقي أفكارنا في ايماءة واحدة ••؟

كنت أتمنى ذلك وأريده ، ولكنني كنت أرهبه وأخشاه ، لان قدري لم يدع لي مخرجا الى امر احبه الا واغلق دوني الاسباب وحملني الآلام أنا ومن أحب ••

كانت أول كأس محنظلة أترعني اياها قدري يوم سلبني أبوي ، وترك صراعي مع الدنيا قاسيا مؤلما ، فلم يدع لي من والدي الا بقايا رماد أضاعت في ثنيات الارض واختلطت مع هباب الاجساد الاخرى التي خلفها الانفجار لو ترك لي جسدي سالما بلا حروق ، لما تجرعت البؤس على هذه الصورة البشعة ، ولكنت في منجى من نوبات الالم المتكررة الناجمة عن حروق اشعاعاتهم التي نشروها يوم فجروا قنابلهم ، فافترست بعض الناس وتركت البعض الآخر فريسة للآلام •• وهكذا تركني قدري مقرحة الجسد ، مكلومة الفؤاد ، كسيرة الاماني •• حتى بت أخشى أن نكون لعنة ما قد حلت بي ، لعنة لا تلبث أن تصيب كل الاشياء التي أحب ،•• ولهذا حاولت خنق حبي لك ، ودفن رغبتي في الالتقاء معك خوفا من مخالب قدري الجشع ، فأخفيت محبتي المتأججة ودفنتها تحت رماد محاولتي ، وحاولت خنق نداءاتها المتكررة ولكنك كنت أقوى مني فأصبحت كل شيء لي ، وكل شيء في حياتي ••

وذات أصيل كنت اتطلع اليك من بعيد ، دون ان تحس بي ، عندما باحت لي كلماتك اذ ناديت احدى الزميلات باسمي • في تلك اللحظة أحسست انني قد دخلت عالمك وانني أشاركك كل أشيائك •

حقا ، انني أحمل حروقي واذهب بها الى مكان آخر من العالم ، حيث يحترق الفكر بشناعة تفوق حريق الاجساد التي تحدثها اشعاعات قنابلهم ، حيث العالم كل العالم ، مكتظ من حولي بالضحايا ، بعضهم يحمل حروق جسده والبعض الآخر يحمل حروقا في روحه ، في مثله ، في انسانيته •• وحروق هؤلاء ، تفوق حروقنا، نحن المرزؤوين بأجسادنا ، وهم المرزؤون بانسانيتهم ، ولهذا خشيت أن يفترس حبي عمرك ، كما تفترس الجزئيات أعمار المحيطين بنا •

صحيح انني أحبك ، والحب أكبر الاشياء وأروعها ولكنني أريد ان أدخر عمرك لشيء أكبر ، لشيء من أجل انسانية الآخرين ، وما أحوج هؤلاء المحيطين بنا الى انسان نبي ، يحدد فيهم معاني الانسانية ، ولهذا أريد أن تدخر عمرك ، لتحارب شرورهم ، ولتبني ما يهدمون ومن أجل هذا كنت البادئة بالفراق •• وأنا على استعداد لا تحمل آلام البعاد ، كما تحملت الآلام الاخرى ، طوال السنوات الاربع التي قضيتها بينكم في الجامعة ، فقد كانت نظرات الزملاء تقول لي : انهم يخافونك ويحبونك •• معا •• حبهم تمازجه الشفقة ، وخوفهم لا يعرفون له تفسيرا •• لانهم كما قلت لك غارقون في تعدد جزئياتهم وتفاهة شؤونهم •• كانوا يكتفون بالقول انني ضحية شجاعة ، ضحية تعد ثواني سويعاتها الباقية بعينين متفتحتين ووعي كامل •• كانوا يتطلعون الي بدهشة • كيف أقبل على الدرس بانتظام وشغف ، متناسين انني انما ادفن أحزان الانسان في طيات كتاب

الفلسفة والمنطق •• ونظراتهم لا تغيب عني أبدا •• تلاحقني ، تهمس في أذني وان تجاهلتها واغلقت مسمعي عنها ، ولكن الذعر الحقيقي في نظرات الزملاء هو وحده الذي لم انسه ••

وجودي بينهم يقلقهم ، يخيفهم ، يرهبهم لانني أذكرهم بالمصير المرعب الذي سيحل بهم ، أو بأبنائهم من بعدهم ولكن الذي كان يضايقني من ذعرهم ، بلادة الذعر وبلاهة في عيونهم •• كان وجود القادمة من أقصى الشرق الى ديارهم التي تفوح من معاملها ومختبراتها روائح البارود ، واشعاعات الذرة والهيدروجين ، يرعبهم لا بل يستهلك بقايا شجاعتهم لانني لا أحمل روحانية الشرق فحسب وانما احمل في جسدي شراسة العلم وقساوة الانسان ، وهمجية المتمدن ••

ورأيت عينيك تحملان ، آلام البشر أجمع ، في تلك اللحظة التي تطلعت لي فيها بمعنى مرير ، وكأنك تقول لي انني باعثة الملك ، وأحسست انك تصلب في كل لحظة تراني فيها ، وحتى في كل طرفة تذكرني فيها • وليس عذاب الصلب ما خشيت منه عليك ، ولكنه حبي وقدري ، هما اللذان خشيت منهما عليك •

كنت اخشى أن يترك ذهابي المنتظر ، آلاما في روحك ، وأنا لا أريد أن يقربك الالم ، حتى ولو كان من أجلي ••

ولهذا حاولت جاهدة في البدء ان ابقى على صمتي، أعاني الحب وحدي ، وأعيش الالم مسكينة • عسى أن اكفر من اخطاء انسان العلم ، الذي ارتكب كل الشرور ، واخترع كل الاشياء الجهنمية كي يبني لنفسه مجدا فارغا ، وكي يظل في احضان وهم كبير ••

هذا الانسان الذي أضحى همه ان يصبح الها ، فغرق في أشجان المادة ، وأشيائها ، ظنا منه ، انه سيصل الى السر ، متناسيا ان هذا الوهم ، او ذاك السر لن يسمنه من جوع ولن يغنيه عن كلمة حلوة ، او ابتسامة صافية ، او ايماءة صادقة ، وغير عابىء بأن هذه الاشياء المخيفة ستبتلعه وتفنيه ••

وهكذا جاء سؤالك في محله ، أجل الى متى سنظل مندفعين مع حماقة العالم ، وسائرين في قدره ؟

ما ذنبنا نحن ـ أنت وأنا ـ لندفع ثمن أخطاء انسان العلم الاحمق من روعة أحاسيسنا وسلامة أجسادنا ؟

ولكن محبتي لك ، كانت أقوى مني ، وحزن عينيك أعمق من المي الصامت •• فقهرتني اذ كنت أقوى من صمتي ، وأقوى من ارادتي المتكالبة على الصمت •• فاستسلمت •• استسلمت لحبي ••

الى أن كان ذلك اليوم العصيب ، عندما داهمتني نوبة الالم المفاجئة ، وشدهتم جميعا ••

وأحسست ان نهايتي أضحت قريبة ، وانني سأنتهي فجأة وتنتهي معي آلام الحروق ••

وجئت الي في المستشفى ، وأنا مسجاة على سريري تتقاذفني نوبات الالم ، وتنهال علي دون رحمة •

ساعة دنوت مني ، ووضعت يدك الحانية على جبيني الملتهب تماما ، كما تفعل الام لوليدها ، اذا ما داهمه المرض ، فاستسلمت ليدك ، وأحسست انك أمي وأبي ، وحبيبي ، وصديقي ••

فهدأت آلامي ، وجاء في صوتك العميق الخفيض ، وعيناك الحزينتان وابتسامتك اليائسة ، لتقول لي عن حبنا أشياء كثيرة ، حلو •• قلت لي انك ستترك هذه البلاد لتؤوب الى موطني ، الى شرقي الحبيب •• وانك ستتعرض معي الى أشعتهم المحرقة لو قدر لهم ان ينشروها ثانية ، وانك ستموت معي ، لان ليس لك حياة دوني ، ولتشاركني ضريبة حماقتهم لتثبت أنه ما زال هنا انسان لم تستطع مادية علمهم ان تغريه ••

وحان موعد رحيلك من المستشفى ، وبقيت وحدي ، أعيد النظر في تضحيتك الكبيرة ..

كبرت علي تضحيتك أأرضى لاشراقة الانسانية أن تختفي معي ، وان تحرق معي بالاشعة ..؟

لا .. لا .. محال أن ارضى بذلك ، فما عهدت الحب أنانية بفيضه .. وان عرفته فلقد عرفته تفانيا وتضحية في أروع ما يمكن أن يكون .. يوم صممت على الرحيل معي .. ولكنني لست أقل حبا لك ، حتى أدعك تموت مرات ومرات .. مرة وانت تعاني الالم من أجلي .. ومرة أخرى ، وانت تتعرض لاشعاعاتهم وثالثة اذا دعك تهجر الرسالة التي كنت تعد نفسك لها ، والتي اتمنى ان تظل حياتك وقفا عليها ..

ولهذا قررت أن ادعك ، لتصنع شيئا من أجل الآخرين المهددين بوجودهم ، بصحبتهم ، بأفراحهم ، بأجمل أحاسيسهم وأروعها ..

فمن أجل الحب سأتركك ، رغم انني أتوق الى ان أظل قربك .. ومن أجل دورك العظيم ، سأدعك للانسانية ، لانها أشد حاجة لك مني ..

وستمر الايام .. وستنقضي أيامي الباقية لا محالة ، وسأكتفي منك باضمومة زهر تنثرها على أقرب قبر ، ذهب صاحبه ، ضحية القنابل المحرقة .. يوم ترفع رأسك داعيا ، الى حب آخر ..

حب لا يغني ولا يموت أصحابه .. لانه حب الانسان للحياة ، بل حب الانسان للانسان ..

درعا ــ انعام مسالمة

طيب الهوى

شعر: قبلان مكرزل

طيب الهوى ، ياندى ، هند وما زعموا … وأن تهشمني في حبها التهم
وأن أعاني مشقات الشهيد بها … وأن ترنحني الاوهام والسقم
ظننت ما بيننا بينا وعادتنا … يفنى من الوجد قلبانا ونختصم
ندى ، وقبلك كم من غادة نعمت … عيشا وحفت بها الخدام والحشم
وامتد قصر عريق الفن يخفرها … وروضة دونها ما نمنم الحلم
تشهى الذي تشتهين الآن وانكفأت … تقول لي : شاعر يا أنت أم صنم ؟
ندى ، ويا ربيعا دنا في عز ميعته … يحدث الورد عن أشذائه النسم
خلي ابتساماتك الريا لغير فتى … تراث أجداده الاخلاص والشمم
وحولي يا ندى ما أنت فيه الى … صداقة ما تلاها في الدنى ندم
لم تبق هند بقلبي أي متسع … وكل حسن بعيني بعدها ظلم
بل حدثي هند عن أشواق شاعرها … وما تفيء به غادات من وهموا
وما تهامسه الازهار ذاكرة … ما كان في سفحنا والشمل ملتئم
قولي لها : هو أنقى من بزوخ ضحى … في جنة الخلد أهدته لك الحرم
قولي لها : هو أنقى من بزوغ ضحى … منأه أنت وما يبقى هو العدم
أنت الوجود لجنات يؤملها … وما لغيرك هذا التوق والنهم
قولي لها : يا فداها العمر أجمعه … ان تغضبي فضحاه الهم والالم
وليلة منك أطياف تعذبه … مزيلة كدر الواشين لو علموا
وهو الحبيس بأرض عز تاجرها … وهان شاعرها والود والذمم
ان شئت أمرا فوشك اللمح فاعله … وحظه عندك الابهام والغمم
أمستحيل ترى ما القلب يأمله … أم غيرة الحب تغشاه فتصطدم
أكلما أن قلب من حبيبته … جزاؤه عندكن الصد والصمم
وما الذي يدفع الخلان أن يقفوا … بجنبها كلهم ان جئت أحتكم
غرائز السوء عند الناس غالبة … حارت بأعراقها الآيات والنظم
أنا ذهلت عن الدنيا وزخرفها … بهند ، والناس للدنيا ذهولهمو
وغربة الحر أن يحيا بموطنه … يذوب حبا ويجني الدس عندهم
أأنكرت من حدا زهر النجوم لها … وعلم الحب كيف الزهد والكرم
السجن يشهد كم ودعته لغد … ويشهد الكهف والادغال والالم
يئن في غير ما خطت أناملنا … بصفحة الحب والحرية القلم
وهل يساوي الضمير الحر بين فتى … يحدو النجوم ومن للذل حدوهمو
ألمضحكين بما يدعونه شمما … وما له نثروا الاعجاز .. أو نظموا
الواقفين بباب المحسنين لهم … الواعظين وهم أبواق من تخموا
الباذرين شعارات مضللة … بين الجموع مع الحالات تنسجم
وليس لبناننا المحبوب مرجعهم … بل السفارات والارصاد والخدم
وليس شعبك يا لبنان ملهمهم … بل المساكر في دارات من غنموا
يا بئس عقبى الألى عاشوا بما كتبوا … كما تعيش على أثدائها النعم
في كل كوخ أساطير مجنحة … للوحي ، لم يحيها قصر ولا هرم
ومن أحبك يا لبنان ، مهجتنا … فدى لعينيه ما افترت بك الخزم

ونفتدي العشب ، حتى العشب تنبته … على جوانبك البسامة التخم
وشل باريك يا لبنان كل يد … تمتد يوما بما يؤذيك أو يصم
يا للسعادين اذ يدعونه شمما … وكل دس لهم فيه يد وفم
رؤوسهم شمخت في الجو وانحدرت … الى شعوبية عرى نفوسهمو
النابحون على الفصحى ، وسيدهم … من الكمين يضربهم ليقتحموا
ويجعلوا وطن الفصحى الضنين بها … مستنقعات لغى يجترها بهم
وبعد قرن ٠٠ أنستدعي تراجمة … لشرح ما قال اخوان وما فهموا !؟
هو التضامن درب العرب منقذهم … من سار في الحق ما زلت به قدم
هي الاخوة بين العرب فاطرة … قلوب أعدائها ما كان سنخهمو
من للبلاد اذا أقلامها فسقت … يا شعب سجل على الباغين ما أثموا
أيفهمون شموخ الرأس ، موقفهم … في عهد مستعمر سموه أمهمو
أم الشموخ الذي زانته مأدبة ٠٠ … بالامس ، يوم الدخيل احتل أرضهمو
أم الشموخ فحيح اللؤم نمقه … في محنة الضاد والاوطان عقلهمو
أيطعنون بها والضاد منزلة … صهيون ما لؤمت يوما كما لؤموا
ما ضارها ليل هولاكو ومن بطشوا … مدى قرون وما اجتاحوا وما هدموا
والفضل في ذاك هل يخفى على أحد … ألفضل يعرفه الا الذين عموا :
صلى وسلم فخر الانبياء بها … فحرفها النور تستهدي به الامم
وذر فيها أبو ذر رؤى سحر … هو السراط لمن كدوا ومن حكموا
ودمدم المتنبي فالدروب على … ان لم تضئها السيوف البيض فالحكم
نحن الملايين من أبنائها وثبوا … لهدي من راوغوا فيها ومن نقموا
كم ضللت عقلهم في ظل جامعة … لكاع فلسفة تجارها عجم
من كل ذي سحنة دكناء منكرة … كباب مقبرة ان قضقضت وجموا
هذا شموخهمو ، هذي براءتهم ٠٠ … يا خاطئون المسوا ذيلا لهم ٠٠ وعموا
واغفر لهم من أعالي الصحو اثمهمو … يا أرز أجدادنا الاحرار ٠ يا علم
معنى الشموخ غريب عن جماجمهم … ما دام للغرب في أشداقها لجم
وهند ما كان أغناها ، ترى انشرحت … بشرحهم قولها ما شاء مكرهمو ؟
تلفت الخلق المجروح يسألها … عنا ، كما سألت عن أصلها السدم
لمن تسلمنا هند وقد أمنت … الابن أخسا من قالوا ومن رسموا
وهند تعلم أني لست خاذلها … وأن صدري على أسرارها أجم
لسنا لنرعب نملا ،، نحن من ملأ … تميد في وجهه أكباد من ظلموا
النمل أحكم منها ، وهو لو ذكرت … عنه تلقن من جدوا ومن عظموا
قولي لها لا تكدر في تعنتها … تاريخ حب حلا في خمره القدم
أسطورة نحن في الاجيال عابرة … شراعها وجدنا والشعر والنغم
من «بسمة الشمس» حيتها اذ انطلقت … شطآننا الفن والاوداء والقمم
من أرض أجدادنا من أرض من رقموا … صك التآخي جليا والمداد دم
وهللت جزر الآباد تسألها … حط الهنيهة لكن دربها قدم
لاي الفين هذا ، ليت هند وعت … ما سلسلته لقمري الربى النجم
ويا ندى بل دعيها في تعسفها … فالدهر ما بيننا يا أختنا حكم
لابد أن توقظ الايام من غفلوا … وأن تجود على صحرائي الديم
مهما تمادت فاني حافظ أبدا … عهدا لهند به الابكار تعتصم
ولو تبقى لقلبي من هنيدته … خفق الوشاح لقلت النبل والهمم
أنا الخبير بما تزدان من شيم … وحبذا يوم ترضى هند والشيم
فما هنيدة الا عاصف خطر … يتلوه للصابر الايناس والنعم
وما الغدير على صحراء مجدبة … أعز منها وأشهى حين تبتسم

مشكلة السكان

فنونًا

بقلم الدكتور عبد الرحمن حميدة

تزايد خطير في سكان العالم :

كانت الثـورة الديموغرافية [1] أكثـر الحوادث الاجتماعية بروزا في خلال القرن الماضي • فقد اندلعت بين أمم أوروبا الغربية ، وخاصة بعد اكتشاف التلقيح على يـد الطبيب البريطاني جنر (١٧٤٩ – ١٨٢٣) • وقبل ذلـك كان من اللازم حـدوث عشر ولادات في الاسرة الواحدة كي يمكن الاحتفاظ بطفلين اثنين منهم • ولا نستثني من ذلك الولادات في الاسر المالكة نفسها ، فقد اشترك لويس الرابع عشر في حفلات دفن ثلاثـة أجيال من نسله •

بيد أن الثورة الديموغرافية ، في الغرب ، كانت مصحوبة بثـورة صناعيـة وبرقي في سائر المجالات • وابتداء من النصف الثاني من القرن الثامن عشر أخذت نسبة الوفيات بالانخفاض ، ولكن الانتاج كان يرتفع نسبيا • وهكذا تحقق التلاؤم ــ رغم الحروب المريعة ، كحروب الثورة الفرنسية ، وحروب نابوليون ، والحربين العالميتين ــ بين العاملين الرئيسيين ، أي الانتاج وتزايد عدد السكان •

أما في الاقطار المتخلفة فقد حدث العكس ، اذ ظل الانتـاج كما كان في القرون الوسطى ، بينما حوربت الوفيات فجأة بوسائل أكثـر نجوعا من وسائل القرن التاسع عشر ، كانتشار الادوية ذات الاستعمال البسيط جـدا مثل مركبات السولفا والعقاقير المضادة للحيويات كالبنسلين وسواه ، فنتج عن ذلك حركة ديموغرافية واثبة ، لان التقاليد والعادات الموروثة ، في هذه الاقطار ، لا يمكن ان تتبدل بسرعة : كالزيجات الباكرة ، وانحطاط مكانة المرأة ، وتشغيل الاولاد ، ووجود نسبة كبيرة من المتسولين وأشباههم ، مما أدى الى انخفاض مستمر في نسبة الوفيات ، ما لبثت الموجة الديموغرافية ان اندفعت ، في اثره ، لتطغى على كل الاقطار المتخلفة •

وقد حدثت هـذه الظاهرة ، قبل كل شيء ، في المستعمرات الاوروبية السابقـة ، فبعد أن ألغي نظـام الرقيق الرسمي ، في عام ١٨٣٣ بالهند ، وفي ١٨٤٨ بالمستعمرات الفرنسية ، وفي ١٨٦٥ بالولايات المتحدة على اثر حرب الانفصال ، وفي ١٨٨٨ بالبرازيل ، ولم يعد الاتجار به مصدر ثروة ، وبعد أن أصبحت اليـد العاملة الوطنية الوفيرة ضرورة لا بد منها من أجل استغلال موارد المستعمرات ، من زراعية ومعدنية ، جلبت الدول المستعمرة ، بدافع اقتصادي ، وليس بدافع انساني ، الى مستعمراتها ، العناية الطبية ، فضلا عن استتباب الامن نسبيا بعد حظر المنازعات القبلية ، وخاصة في افريقيا •

وهكذا قفز عدد سكان الهند ، وهي تحت الحكم البريطاني ، من ٧٠ الى ٣٥٠ مليون ، في خـلال قرن ونصف من الزمن ، كما ارتفع عدد سكان جزيرة جاوا من مليونين الى ٥٠ مليونا في أثناء نفس الحقبة • وبذلك تجاوزت سرعة تزايد السكان ، في بعض بقاع العالم ، أكثر نبوءات مالتوس تشاؤما ، بالرغم من تجنيد أبناء المستعمرات والزج بهم في حروب توسعية لا ناقة لهـم فيها ولا جمل •

(١) الديموغرافيا عـلم يهتم بالوضع الاحصائي للمجموعات البشريـة كالولادات والوفيـات والزيجات والطلاق الخ ••

ولكن لننظر الآن الى ظهر الصفحة : فنجد أن مستوى المعيشة من أخفض ما يكون في كل الاقطار التي ذاقت كأس الحكم الاستعماري • كما أصبحت جماهير شعوبها تتعرض الى زعزعة خطيرة في حياتها الاقتصادية بسبب ارتباط حياتها بحالة الاسواق الخارجية ، كوضع سوق السكر في كوبا ، وسوق المطاط بالنسبة الى الملايو، وسوق القطن في مصر •

وهذا ما يفسر لنا أمورا كثيرة وخاصة بعض الاسباب البعيدة التي أدت الى انسحاب بعض الدول الاستعمارية من مستعمراتها دون ان تستنفذ كل امكانياتها للتشبث بها رغم امتلاكها القنابل الذرية المهلكة ، وسبب تحول افريقيا ، في خلال الفترة الواقعة بين ١٩٤٠ وبين ١٩٦٢ ، من قارة المستعمرات الى قارة شعوب مستقلة تقريبا ، دون أن نغفل أبدا دور نضال شعوبها ، وخاصة الشعب الجزائري المجيد ، أو دور تنافس الكتلتين العالميتين الذي كان له اثر ملحوظ في تحرر عدد من الشعوب •

الواقع هو أن الدول الاستعمارية رأت أنها ستتعرض حتما لتخريب اقتصادها الوطني اذا حاولت النهوض باقتصاد مستعمراتها ، بعد تدهوره بسبب تكاثر السكان فيها ، ولم يعد باستطاعتها الاستمرار في استنزاف خيراتها لحسابها • وهكذا أصبحت بعض المستعمرات عبئا على مستعمريها بسبب انتفاخ عدد سكانها عوضا عن ان تكون مصدر غنى لهم • وهنا ظهرت عبارة « الاقتصاد مع الشرف » على لسان الداهية البريطاني تشرشل ، وترمي الى منح المستعمرات استقلالها بالتتابع ، وعلى مواعيد ، وتوفير نفقات جيوش الاحتلال ، لا سيما بعد ان ارتبطت أكثر المستعمرات اقتصاديا ببريطانيا ، وهو الهدف الاول للاستعمار •

غير أن الموقف الديموغرافي لا يتغير كثيرا بعد ذهاب المستعمر ، ذلك لان تزايد السكان هو أمر سهل التحقيق • اذ يكفي لحصوله وجود الشرطة بالبلاد ، لمنع اقتتال الناس ، ووجود بضع فرق من الممرضات لكن زيادة الانتاج تؤلف مشكلة شديدة التعقيد ، وعسيرة ، لان التناسل والتلقيح ضد الامراض أسهل بكثير من تأمين الغذاء والتعليم والعمل للوافدين الجدد وفي ذلك تكمن مأساة التخلف •

أزمة الحضارة الغربية

بقلم: سليم بركات

منذ تنبهت شعوب الشرق الى عوامل الضعف المادي والثقافي التي كانت في أصل عجزها عن وقف مد السيطرة الاجنبية على أقطارها ، اتجهت هذه الشعوب الى بحث أسس هذا الضعف والطرق التي تستطيع بها معالجته وتفادي مخاطره واستنقاذ الخسائر التي منيت بها نتيجة لـه ، وقـد تعـددت طرق البحث والمحاولة وتفاوتت في منازعها وأسسها وفي جدها وهزلها ، لكن ظل يسودها لدى كل من يمثلون حركاتها من رجال الفكر والتربية أو من رجال الاجتماع والسياسة ـ نوع من الاستفزاز العنيف المستمر تضرمه مظاهر القوة الحضارية الغربية الممثلة في علم الغرب وصناعته وفي سلاحه وفن سياسته وفي كل ما يميز حياته أو انتاجه من التقدم والقوة ، حتى انه ليصح القول ان في أعماق كثير من أبناء الشرق عقيدة متأصلة بأنـه ما يجب أن نفعله ونحققه انما هو السعي الحثيث لبلوغ حد التساوي مع الغرب في مظاهر قوته وحضارته وعمرانه . ولا مراء في أن وجود هـذا الاحساس أو هـذه النزعة التواقة للغلبة والتقدم هو في ذاته أمر بذل المفكرون والمصلحون جهـودا لا يكـاد يسعها حصـر حتـى تحقق في عقول الشرقيين وعواطفهم . وليس هناك أي مجال للتشكك في وجوب تجريد الغرب مـن احتكار التقـدم العلمي والصناعة والقوة المادية واختراع القيم والمفاهيم الاجتماعية والسياسية ، أو في وجوب تحقيق ما يضمن للشرق من ذلك كله حياة قوية وحضارة أصلية لائقة به تعيد اليه ما كان له في الماضي من مجد روحي ومادي كان وما يزال أحد المفاخر التاريخية الكبرى للانسانية .

ليس هناك شك الا عند من يجهلون واقع الامور جهلا كافيـا ، ومطبقا ـ في أن الغـرب قوي متقدم ذو



حضارة باذخة عميقة الجذور . وأن هذا الغرب قد مضى في طريق العلم وتوسيع آفاقه وتطبيق كشوفه خطوات بعيدة بلغت ما يعتبر في حدود الاساطير كما أنه ليس هناك شك الا عند فريق الجاهلين أيضا في أن الشرق محتاج حاجة عنيفة ملحة الى أن يقتبس اقتباس البصير الحكيم لا اقتباس المقلد السفيه كل ما يمده من حضارة الغرب وعلمه بالقوة والمنعة والتطور .

وربما كان لنا من واقـع ما تمضي حياتنا الماديـة والثقافية به ما يغنى عن هذه التأكيدات فنحن ماضون مضيا ان لم يكن كافيا فهو مبشر بوجود روح السعي وعقيدة الانطلاق ـ نحو أهداف المساواة العالمية وجعل العلم أساس كل ما نريد بناء من مادة حياتنا وقيمها .

غير أنني أود في هذا المقام أن أقدم بعض الملاحظات التي يجدر بنا ونحن نمضي في مسابقة الغرب واقتباس

ما سبقنا فيه من الحضارة الصناعية والعلمية والعمرانية فأشير الى أن الاسترسال مع دواعي الاستفزاز والتحدي التاريخي ربما يجعلنا ننسى مع نشوة مظاهر التقدم والبناء كثيرا من الاعتبارات التي أصبح المفكرون الغربيون أنفسهم يشكون أليم الشكوى من أن بناء حضارتهم قد قام على اغفالها اغفالا يتهدد هذه الحضارة في صميم بقائها .

لقد قضى الغربيون وقتا طويلا وهم يستمتعون بنشوة تقدمهم في مضمار القوة والحضارة وكشوف العلم استمتاعا أساهم كثيرا من نواحي النقص الخطيرة التي اشتملت حضارتهم عليها حتى جاء فلاسفة الغرب وعلماؤه منذ قيام الحرب العالمية الاولى ليطلقوا النذير بعد النذير كاشفين عن ثغرات العلم الغربي والحضارة الغربية ساعين لتفادي المخاطر الرهيبة التي جاءت الظروف العملية لتقرع آذانهم بنذرها المفزعة .

وكان أهم ما كشفت عنه ظروف الحياة الاجتماعية وتطوراتها هذا الفراغ الذي تبين انطواء الحضارة الغربية عليه فيما يتعلق بقيمة الوجود الانساني واعتبارات حياته النفسية بل والجسمية أيضا وانصراف العلم والصناعة انصرافا مطلقا الى تسخير قوى الطبيعة بصورة لم يراع في كثير من أساليبها مستقبل الانسان وأهدافه ومثل سعادته وشرائط بقائه وخير أفراده وأجياله . حتى لقد سادت الدوائر العلمية في الغرب منذ الحرب العالمية الاولى روح ثقيلة من التشاؤم بالحضارة العلمية وتشوق محزن الى قيام العقل العلمي بجهود أخرى في ميدان بحث الانسان وحياته ومستقبله وحقيقة سعادته فيقول الاستاذ « ديز موند برنال » العالم الطبيعي الانجليزي في كتابه « رسالة العلم الاجتماعية » (ان هناك من يعترضون على مجرد حق العلم في الوجود) ويقول (ان أقرب صور العلم الى ذهننا اليوم هي الحرب والفوضى الاقتصادية . والاتلاف الاختياري لسلع يحتاج اليها ملايين الناس ونقص التغذية والخوف الدائم من حرب أشد هولا من أي حرب مضت فلا عجب أن يتخلى العلماء شيئا فشيئا عن الاعتقاد بأن تقدم العلم ذاته سيؤدي حتما الى عالم أفضل) .

ويقول السير الفريد أونج في خطبة الرئاسة التي ألقاها في المجمع البريطاني عام ١٩٣٢ (لقد وضع زمام الطبيعة في يد الانسان قبل أن يملك زمام نفسه) . ويقول : (انني أقف اليوم على جانب الطريق وتمر أمامي سراعا مواكب الاكتشاف والاختراع التي تعودت أن أسر لها سرورا عظيما ولا مناص من أن نسأل : الى أين ينتهي هذا الموكب الحافل ، ما هي الغاية النهائية المقصودة وما أثره على مستقبل البشرية ..

ويقول في موضع آخر : اننا نعلم أن ثمار الهندسة قد استغلت أسوأ استغلال وفي بعض هذه الثمار مآس كامنة وفي بعضها مصاعب قائمة فكان الانسان على غير استعداد من الناحية الاخلاقية لمثل هذه النعمة العظيمة ..»

لقد عظم انتاج الحضارة الغربية المبنية على العلم الطبيعي عظمة أذهلت عقول بنيها وغيرهم من أبناء الامم الاخرى ولكن جاء المفكرون بعد الكوارث التي مني الغرب بها وبعد الحروب التي أقضت مضاجع بنيه والمشكلات التي استشرت في كيان مجتمعاته ليشاهدوا أن هذه الحضارة قامت على الطبيعة والمادة الخارجية وحدهما ولم تقم مستوحاة من الانسان الذي كان يجب أن يكون هو الاساس في كل اتجاه ، ويجب الآن أن تعالج الامور على نحو يكون فيه هو الهدف والمقياس وهو القيمة الاولى في كل محاولة وعمل .

يقول الدكتور الكسي كاريل في كتابه : الانسان هذا المجهول : تبدو الحضارة المعاصرة في مركز سيء وذلك لانها لا تلائمنا ولانها شيدت دون معرفة لطبيعتنا الحقيقية وانما كانت ناتجة عن مصادفات عشوائية من الاكتشافات العلمية ومن شهوات الناس وأوهامهم ورغباتهم وعلى الرغم من أننا نحن الذين شدنا هذه الحضارة لكنها لم تشيد وفق وجودنا . ويقول في موضع آخر من كتابه : عندما نظم العمل الصناعي الحديث لم يفكر أحد في تأثير المصنع على الحالة الفيزيولوجية والنفسية للانسان

ولقد نمت الصناعة مستوحاة من متطلبات الانتاج وحده ولم يصاحب ذلك أي تفكير في آثار حياة المصانع على ذوات الذين يديرون آلاتها وعلى ذرياتهم في المستقبل

ويبحث المؤلف نفسه حالة أخرى أشد خطورة ناتجة عن انعدام التوازن بين طبيعة الانسان الجسدية والنفسية ونهج التطور الذي ساد ظروف حياته الخارجية في المجالين المادي والاجتماعي فيبين أن العلم الذي سار خطوات طيبة في طريق القضاء على كثير من الامراض الجسمية الفتاكة ، أدى هو نفسه بتعقيد حياة الناس واحيائهم في ظروف حضارية وصناعية غير متوازنة ـ الى تشجيع وتنمية أمراض أخرى أشد فتكا وخطرا هي الامراض العصبية والنفسية • ويذكر الدكتور كاريل وهو من العلماء الفرنسيين الذين أقاموا مدة طويلة في الولايات المتحدة أن عدد المرضى العقليين الموجودين في المشافي في بعض الولايات يزيد وحده عن مجموع كل الموجودين في المشافي الاخرى وهذا فضلا عن حالات عدم التوازن العصابي التي يزيد انتشارها بين الافراد العاديين غير المنظور اليهم كمرضى أو منحرفين وكل ذلك مما يسبب تعاسة الافراد ودمار الاسر ويعتبر أعظم خطرا على الحضارة من كل ما قاومه الطب حتى الآن من أمراض •

يضاف الى ذلك مظهر آخر من مظاهر التفكك الحضاري هو أن طبيعة حياة التحلل من الجهد والايمان باللذة العاجلة وجحود قيم الفكر والعاطفة كل ذلك يضعف بصورة متزايدة الانتاج الثقافي وقدرات الابداع العقلي لدى جماهير الغرب وحتى قادته وساسته ويقول كاريل عن هذه الناحية : اننا نلاحظ أنه في معظم البلدان يبدو تناقص ملحوظ في المستوى الخلقي والعقلي لاولئك الذين يحملون مسؤولية ادارة الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية • وأنه في نفس الوقت الذي تواجه الديمقراطيات فيه مشاكل معقدة تتطلب الحل الدقيق العاجل يتزايد عجز معظم الامم عن انتاج الرجال الذين يتحلون بالذكاء والاقدام اللازمين لمعالجة ما يتصدون له من مشكلات •

وهذا الذي أورد من أقوال الكتاب الغربيين المعاصرين لا يمثل الا ما هو أقل من القليل من آراء الكتاب المعاصرين وملاحظاتهم بشأن قيمة الانسان في الحضارة الغربية المعاصرة وان هناك مذاهب فلسفية واجتماعية ومدارس أدبية لا تحصى وجدت وتوجد في الغرب وتتفرع اتجاهات ومدارس جديدة بين حين وآخر وتطوي تحت أسمائها عشرات وعشرات من الكاتبين والكاتبات ومن خاصة المثقفين وعامتهم • وكلها حركات تعبر عن نفسها كل عام بعديد المؤلفات الفلسفية الخالصة والكتب الروائية والمسرحية • ويشعر من يقرؤها قراءة التعمق والشمول أنها كلها وعلى الاختلاف الشديد بين مراميها ووجهاتها تنبع من بداية واحدة هي قلق انسان الحضارة الغربية وسعيه المؤثر نحو اعلاء قيمة الوجود الانساني ضمن ما حوله من قوى الطبيعة والحضارة •

ان العالم المتحضر القائم على الصناعة وعلى تطبيق النظريات والاكتشافات العلمية يعاني اليوم مشكلات اجتماعية ونفسية على أكبر قدر من الخطر ومن تهديد الحضارة في صميم وجودها • واذا كنا ما نزال لا نعاني من هذه المشكلات بالدرجة التي تعاني منها الامم الكبرى فان هذا لا يعني أن بعض آثار هذه المشكلات لم تبد واضحة آخذة في التزايد في مجالات حياتنا المختلفة • ولا يعني أننا بعد أن نقطع المزيد من مسافة الاخذ بحياة الحضارة الصناعية والتطبقات العلمية سننجو من مثل ما أصاب هذه الامم ان كانت الآلية والاسترسال أسلوب أخذنا بهذه الحضارة وان كان عدم تقويم الحياةالانسانية الذي ميز اندفاع حضارة الغرب أمرا مميزا كذلك لاندفاع حضارتنا •

وانه بحسب الانسان ، كي يتأكد من حاجة مجتمعنا الى الاهتمام بهذا الوجه من مسائل الفكر ، أن ينظر الى هذا التعقيد الخطير الذي أصبح يتبدى في تفكير كثير

من الناس ازاء أقل مواقف الحياة شأنا ، وما كان منها في الماضي لا يستدعي ولا ينشىء شيئا من التوقف أو من التعقيد • وانه بحسب الانسان ان يلاحظ مظاهر العجز العقلي الذي يظهر في مسالك كثير من الناس لما يواجههم أحد هذه المواقف المتصلة بالحياة الاجتماعية فلا يعرفون كيف يتصرفون ولا كيف يفكرون وتسيطر على أذهانهم من خرافات حديث التقاليد وقديمها والمتضارب المتقاتل منها ويشقيهم من العقد النفسية المسممة ما لم يكن الانسان يشقى بمثله في مجاهل التاريخ وفي عصور الاساطير والسحر •

وأعود مرة ثانية لاقول ان هذا الذي تقدم ليس شيء منه بالدعوة الى التراخي عن البناء الحضاري أو عن الاخذ بالعلم والصناعة وعن المضي العنيف فيهما ، وانما هو دعوة للسير في الحضارة والصناعة وفي العلم وتطبيق العلم سيرا يستفاد فيه من خير ما حققت أمم الغرب من فوائد ويتجنب ما تورطت فيه من مزالق وثغرات • وان في مقدمة هذه المزالق والثغرات اغفال حق الكيان الانساني وحق سعادة الانسان وطمأنينته وصحته وتوازنه النفسي في خضم التغييرات الكبرى الطارئة على ظروف الحياة وعلى وسائل العيش والعمل وطرق التلاقي الاجتماعي والثقافي • فمما يجب ألا ننساه ولا نظن الاهتمام به ضربا من المثالية الرمزية هو أن ملايين الافراد الانسانيين الذين أمضوا في كل جيل عاش على هذا الكوكب ، حياتهم في ظل التعاسة والالم ، لم يكن أصحاب المآسي الرهيبة منهم أولئك الذين امتحنوا بأمراض الجسد أو بقلة ذات اليد (على هول ما أصاب الانسانية من كوارث المرض ومحن الحاجة) وانما كان التعساء منهم حقا هم الذين عجز تكوينهم النفسي واتجاه نزعاتهم وميولهم وحالة عقولهم عن أن يتحقق لوجودهم النفسي حياة الاستقرار والايجابية وحسن التكيف مع مقومات الحياة الذاتية من جهة وعناصر الوسط الخارجي المادي والاجتماعي من جهة أخرى •

وما من ريب في أن ما هو أخطر من مشكلات الحضارة وعقد الحياة الصناعية ـ أن تتاح الفرص للعجزة الجهلاء وأصحاب النزعات الهادمة السلبية والافكار غير العلمية الناضجة لكي يقولوا هم قيادة المجتمعات في شتى أنحاء العالم في طريق لا تخلصهم مما يضجون بالشكوى منه ولكن تزيدهم غرقا في مشكلاتهم مضيفة الى مأساتهم عنصرا يجعل المأساة دائما في حياة الانسان تتحول الى كارثة موئسة ذلك هو عنصر ابتعاد الانسان عن ادراك ما هو فيه وانفاقه لبقية جهده حيث لا نفع ولا أمل •

وان مما يجب أن يكون مفهوما مقررا في كل حين هو ان الطاقة البانية للحضارة هي الطاقة الوحيدة التي يرتجى منها اصلاح الحضارة وان المنهج والروح اللذين أقاما صرح العلم هما المنهج والروح اللذان لا يمكن لسواهما تسديد خطوات العلم في المستقبل • وانني لارجو أن تتاح لي الفرصة لاقدم بعض وجهات نظر الكتاب الغربيين حول موضوع مشكلات الحضارة المعاصرة في مقالات أكثر أفرادا وتفصيلا •

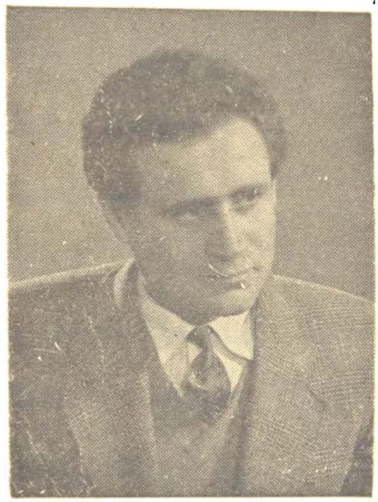
دعي الراح تسقى ...

شعر: قدري مايو

أأنت أم الورد والياسمين   نشرت على الدار اطيابها
غرستهما ثم مرت سنين   أضاعت غراسي وأتعابها
وأنت مررت مرور السحاب   فكنت الحياة واسبابها
فياروضة في غمار الثياب   غلقت بزرين أبوابها
كلانا تراب سيجني التراب   لمن تكنزين ثمار البها
وتلك الثمار وحق الشباب   أنا ما تعمدت اغضابها
فثارت تعربد مجنونة   وكادت تمزق أثوابها
وتلك الدبابيس أشرعتها   أردت بكفي انشابها
صددت بها أنملا كالفراش   خجول الدعابة هيابها !!
يكاد وما قلت « لا » ينثني   ويلهبه الوجد الهابها
أنا لست طفلا رأى وردة   فراح يداعب أذنابها
لها عن شذاها بأشواكها   تأذى وضيع أسلابها
ولا أنت يالعبتي طفلة   تؤدب بالوخز ألعابها
أطاش الغرور نهى نحلة   فحامت تهدد أحبابها
وفي لسعة نحرت نفسها   فيا حمقها ! ما الذي نابها ؟!
لنا جنة فامنحيها الربيع   قريبا سنندب أحطابها
ستفنى وتبقى لنا الذكريات   ولو شئت لونت أعشابها
فكانت ربيعا برغم الشتاء   وعصف الرياح ، وعشنا بها
دعي الراح تسقى فما بالنا   نصب ونسفح أكوابها ؟!

أغاني منتصف الليل

لسيمات عواد



— ١ —

الثورة في دمي تشتعل · ابطال العصور القديمة ينهضون في دمي · لا تلمسني أيها القدر لا تلمسني · سأحطمك بثورتي ان فعلت ، واجعل دمك الكريه ينسفح على قدمي ، كما ينسفح دم ثور على قدم جزار ·· أريد أن أكون جلادا ، جلادك أيها القدر ، لاسترد كرامتي وكرامة بني البشر ··

— ٢ —

القرن العشرون حيوان لعين يشرب منا الدم ، وكأن هذا الدم نبيذ من جهنم ·· نبيذ عشش التاريخ في قطراته الجامدة ·· وانا ، بكل عريي النفسي ، فتى من فتيان القرن العشرين ، القرن اللعين الذي أضاع نفسه ، وفقد كرامة القرون الماضية !!·· أين القرون التي كان فيها الانسان ، يعتبر ذا كرامة ·· لا آلة ، لا أداة تعذيب ، لا وسيلة جلد وقهر واخضاع !!··

— ٣ —

المدينة الصخرية ، مدينة الصمت والتوحش والالوهة · مدينة الفناء البطيء ·· الفناء الابدي ، الرابض في عين الشمس ، كالقدر كغناء العصور الجامد ، المتوحش القاسي ·

هذه المدينة قتلت ابداعي ، شوهت وجه عبقريتي !!··

سئمت القرون كلها ، سئمت الحركة ، الحيوية ، الشعر ، الخلق ، الابداع ·· أريد أن أكون صخرة ، في مدينة الصمت والتوحش والالوهة ·· أريد أن أكون أغنية صوانية ، تتغنى بنفسها الصلدة المتوحشة النافذة كالسهم في وجه الشمس ، المغروسة كالرمح في قلب الارض ، في صميم الابدية ··

— ٤ —

اليوم يتساوى الازل مع الابدية ، يتساوى الصخر مع الموت ، مع الولادة في لحن جنائزي كئيب ، في مأساة سوداء صارخة ··

الشلال الاسود في هذه المأساة يذكرني بليالي الوحدة والتوحش والعذاب · هاتوا ، لي ، سربا من النجوم ، الراقصة في ليالي القسوة لارتوي من هذه الينابيع الحنون ، عزاء الوحده والتوحش والعذاب !!··



— ٥ —

لا سعادة في الحياة ـ هكذا يقولون ـ وما هي هذه السعادة ، بل ما هي هذه الحياة ؟!!٠٠

اليست الحياة حيوانا مفترسا ٠٠ ونحن السنا أبناءه المعدين لوليمة حيوانية اليمة ٠٠

والسعادة ٠٠ اليست صحراء قاسية ، نضيع وراء رمالها الوهاجة الكاوية وراء سرابها الخادع ٠ نفترس أنفسنا بحثا عن قطرة ماء ، عن شدو كناري ، عن لمسة فيها بعض الدفء والحنان !!٠٠

الماء استحال الى رمال ٠٠ الكناري استحال الى غراب ٠٠ اللمسة الدافئة استحالت الى طعنات رمح وتمزيق خنجر ٠٠

— ٦ —

لا اتهامات ٠٠ العدالة المشوهة العرجاء ، تأخذ مجراها الوحلي النتن ٠٠ المستنقعات تعشش في طريق الاتهامات !!

لا ٠٠ لم أجلد القدر ٠٠ لم اسحق هذا الخنزير البري ، ممزق الاجساد الطرية ٠٠ كالبنفسج ٠٠

الخنزير البري في أعماقي يصرخ صرخات همجية٠٠ يريد أن يحطم الازل ان يمزق تماثيل العصوروالابدية٠٠

يريد ان يجعل من نفسي سندبادا ، يجر الكون في اذيال ثورتي ، في انطلاقها المعربد نحو اكتشاف المجهول ، والبلاد الرابضة في وجه الجمال والدفء والحنان !!٠٠

— ٧ —

التاريخ يعوي كالذئب في الصفحات المكتوبة بمداد الدم ، دم الملايين من العبيد الاذلاء !!٠٠

الاباطرة استووا على عروشهم ، المبنية بجماجم النبلاء ، والمستضعفين والسخفاء ٠٠ هؤلاء (العناقيد الناضجة) الذين جعلوا من دمائهم نبيذا امبراطوريا ٠٠ هؤلاء (الحملان) الذين جعلوا من أجسادهم سجادات عجمية ٠٠ ومن أرواحهم عطورا مسكرة ٠٠ ومن قلوبهم موائد سكر ، وعربدات وفجور !!٠٠

حتى الببغاوات في القصور الامبراطورية تهيمن فوق بلاد أزاهيرها استحالت الى أشواك وسم وحنظل٠٠

حتى الغيلان تحمل صولجانات ، وتتكلم باسم الشعب والانسانية !!٠٠

— ٨ —

سأعترف لكم بما أحدث به نفسي أثناء تجوالي في مقابر المدينة المجنونة ، المدينة التي قبرت نفوس أبنائها ، وهم لا يزالون بسمة صافية على فم الزمن :

« لو كان بمقدوري أن أجعل من هذه المدينة السخيفة ركاما من أطلال لما ترددت ٠٠ لان الاطلال توحي على الاقل بالتأمل والذكرى والخشوع ٠٠ أما المدينة الزاهرة التي انقلبت الى مقابر ، فلا أقل من أنها تستثير الغثيان ، قبل ان تستثير التأمل والذكرى والخشوع !!٠٠ »

أنت يا مدينة الموت ، تثيرين قرفي واشمئزازي ٠٠ تثيرين في أعماقي قطعان الوحوش والبرابرة !!٠٠

موتوا يا أهل المدينة الميتة ، موتوا ، فأسراب الغربان ، تنتظر أجسادكم العفنة ، وراء التلال البعيدة !!٠٠

— ٩ —

لاحق في الحياة ، يا زمان ٠٠ أيها القاضي الازلي الذي يحكم بين الناس وسائر المخلوقات بعقلية جد شريرة ٠٠ جد همجية !!٠٠

الحق من مبتكرات الاخيلة فحسب ، أخيلة الانبياء والفلاسفة والمفكرين ٠٠ أنت قاض غير شريف يا زمان ٠ لا شيء في حسبانك اسمه : حق ٠٠ والمستبدون ، أخذوا عنك هذا الدستور الزماني الاحمق !!٠٠ لاحق في الحياة الحق من مبتكرات الاخيلة فحسب ، أخيلة الانبياء والفلاسفة والمفكرين ، الذين هم أكثر شهامة ، أكثر عدلا ، منك يا زمان ٠٠

لا حق في الحياة ٠ فلتذهب اذن هذه الحياة المنكودة الى الشيطان ٠٠

— ١٠ —

مدى العمر يقصر ٠٠ الماضي ذهب ، مخلفا وراءه صحراء ذكريات ، رمالها محرقة ٠٠

ماذا ربحت يا قدر ٠٠ التاريخ لعبة الزمن ٠٠ الامجاد حقول الغام وأشواك ٠٠

مدى العمر يقصر ، يقصر ، يقصر ٠ لا يوم ضحوك ، لا ليلة طروب ٠٠ الاشمئزاز يعزف على نايه في الحان من ثلوج ٠٠ الحياة رماح مغروزة في جبين العقلاء ٠٠ العباقرة سهام طائشة ترتطم بقسوة في جدران من صخور ٠٠ الساقطون يرقصون رقصات همجية في ساحات النعيم ٠٠ النذالة حزمة من هشيم ٠٠ الحقيقة تحترق في صلب الضمير ٠٠

مدى العمر يقصر ٠٠ والاشمئزاز يعزف على نايه في الحان من ثلوج ٠٠

سليمان عواد

تطواف !..

شعر : عبد الرحمن اسماعيل

في ليلة حجب الظلام بها الضياء عن العيون
ورمى به في عالم الاوهام ٠٠ في دنيا الظنون ٠٠
والليل مد رواق هدأته وأمعن في السكون
وجحافل التشكيك ترقص فوق أشلاء اليقين
والجائعون من الورى افترشوا الثرى خمص البطون
والمتخمون ٠ على أسرتهم غفوا ملء الجفون

* * *

طوفت في الدنيا على اسم الله أسأله الصوابا
ومضيت أحمل في ظلام الليل من فكري شهابا
فرأيت من دنياي حين خبرتها العجب العجابا
المقتر افترش الثرى لينام والتحف السحابا
والموسرون يواكبون اليمن والود والرغابا
ماتت مروءتهم فلا يلجون للفقراء بابا

* * *

ومضيت في التطواف أعثر بالمزيد من الحياة
فلمحت في ظلم السجون مكبلين من الجناة
وحياتهم في قبضة القانون في ذمم القضاة
وهناك – عبر الليل في الظلمات في الزمن المواتي –
أبصرت أسراب اللصوص تجوس أبيات السراة
وعرفت كيف تفجر البغضاء أقوال الوشاة

* * *

وسمعت ندب الثاكلات ورجع أنات الايامى
والآه بعد الآه عالقة بأفواه اليتامى
ورأيت كيف سرت وحوش الانس تنشدهم طعاما
وجلوت في الآهات معنى اليتم آلاما جساما
ذلا وتشريدا وحرمانا وسغبة حراما
وجهالة سدا وعريا فاضحا وأسى لزاما

* * *

وقرأت في القسمات أخلاق الورى حسدا وحقدا
وفعائلا يغضي الجبين لذكرها خجلا ويندى
ولمحت أندية البغاء تزيد بالشهوات وقدا
وتعج بالسارين أشياخا وشبانا ومردا
يتوافدون وهم الى الشهوات بين صد وأصدى
واذا ارتووا نقدوا البغايا أجر عفتهن نقدا

* * *

وشهدت ركب العاشقين يفيض وجدا واشتياقا
ويواكب البسمات والهمسات والقبل العتاقا
ومباهج اللقيا وينتهك المحارم والخلافا
ورأيت في الحانات أشربة وأكوابا دهافا
تعلو بشاربها فيحسب تحته السبع الطباقا
واذا تزايد فعلها انزلقت بعزته انزلاقا

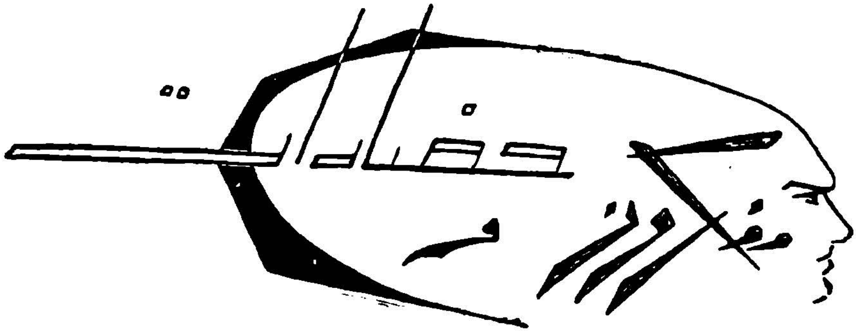
* * *

ورأيت أفواج الرجال ترود أندية فساحا
يتأبطون المال والآمال والقدر المتاحا
يستقبلون بها المساء ويشهدون بها الصباحا
والربح والخسران ينجليان ضيقا وانشراحا
وسمعت همسا رن في أذني « ان الصبح لاحا »
فطويت تطوافي وعدت اخال في كبدي جراحا

* * *

اني عجبت من الحياة ومن أمور بني الحياة
وعجبت كيف تعج بالادواء والمتناقضات
فيها البطالة والجهالة والمخالف والمواتي
وحسبتني أدركت أصل الشر حين خبرت ذاتي
الفقر والطبقية الحمقاء أم المشكلات
والحل في عمل الرجال وليس في سحر الصلاة

بانياس – المحامي عبد الرحمن اسماعيل



مع أوسكار وايلد

بقلم: صلاح الدين موسى

•• لست في صدد الحديث عن حياة أوسكاروايلد فأقول انه ولد بمدينة دبلن عام ١٨٥٦ وان كان أصغر أبناء والده السير « وليم وايلد » ولا نريد أن نثبت له ما كتب من كتب عدة وروايات قصصية وأخرى مسرحية أمثال كتاب « النيات » و « الامير السعيد » و «دارالرمان» و « صورة دوريان جراي » •

لا نريد شرح ذلك كله ولكن سأقصر الحديث على كتاب « من الاعماق » الذي أوحت به عبقريته وهو نزيل السجون وفريسة البؤس والشقاء •

من ذلك الكتاب وحده نستطيع أن نحكم على عبقرية أوسكار وايلد لانه أودعه الكثير من خواطره الفلسفية التي زارته وهو سجين ، وضمنه غير قليل من معتقداته ومن آرائه الاجتماعية ومن آلامه وحقده وتمرده على هذا الوجود الذي لم ينصف بعد رجال العبقرية والفن •• ،

ولعل من الاجدر بنا ـ قبل أن ننتقل الى دراسة هذا الكتاب ـ أن ننقل الى القارىء خلاصة عن الرسالة التي كتبها في سجنه وبعث بها الى صديقه (روبرت روثا) ـ مدافعا عن نفسه مبينا نظرته الى الحياة ••

ما كنت لادافع عن سيرتي ولكني أبينها وأشرحها :



فلقد تجد في رسالتي هذه سطورا حقه تنم عن توقد عقلي في السجن وتشهد بالارتقاء الخلقي الذي جملني وبما بلغت من الدرجة الادبية في سبيل الحياة ، التي أود منك ومن الذين لم تعبث بصحبتهم الايام والذين لا يزال لي في قلوبهم حب ، أن تعلموا أي مظهر آمل أن أواجه به العالم يوم أخرج من السجن ، لا شك عندي أن اليوم الذي فيه يفك أساري هو يوم انتقالي من سجن الى سجن ، وانه لتمر الازمان حتى يبدو العالم لناظري أوسع رحبا من صومعة السجن هذه التي أسكنها اليوم

واني لا أزال أعتقد من أعماق نفسي ان الله منذ خلق البشر دبر لكل نفس دنيا صغيرة وكتب عليها أن تسعى في مناكبها لتعيش .. ومهما يكن من أمر فانك قاريء تلك السطور من كتابي بأخف ايلام من سواك .. ولست في حاجة أن أعيد على ذاكرتك أن فكري وكذا فكر الناس جميعا أشبه بسائل مائع وأن عواطفنا قدجبلت من مادة سريعة الزوال .. التي لا أزال انعم النظروافكر مليا في الطريق الممهدة التي توصل الى بغية نفسي بواسطة الفن . ان حياة السجون ترفع اللثام عن العين فترى الناس وكل شيء للسجين بحقيقته المجردة وهذا هو السر الذي يمضي السجين ويجعله كالقمر لا يتحرك .. ان الذين خارج السجن والذين سحرهم وهم الحياة وخدعتهم أباطيل حركتها السرمدية ليسوا على بينة من حقيقة أمرهم .. وأما نحن أهل السجن فنستطيع أن نرى ونعلم حقيقة العالم من وراء هذه الاسوار المطبقة ..

وسواء علي أتفيد رسالتي هذه عقول الناس أم لم تفد فحسبي منها أنها كانت سلوكي وعزائي في السجن وانها « نظفت جوفي من مادة خطرة » ولست في حاجة أيضا أن أذكر لك أن ملكة التعبير وقوة الافصاح هي وحدها عند رب الفن أرقى ما تصبو اليه نفسي وأنها أبعد ما تصل اليه الحياة من الكمال وان الناس تحيا بالنطق والتعبير .

والآن ــ بعد هذه الرسالة المسهبة من أوسكاروايلد لصديق له يدافع بها عن نظرته الى الحياة .. لننقل الى كتابه « من الاعماق » فنرى أوسكار وايلد يكتب عن الالم كأن الالم نفسه يتكلم ثم نسمع بعده نقده لعيوب البشر الاجتماعية . ومن نقده هذا يتبين مذهب أوسكار وايلد في الحياة : يقول الشاعر :

« ألا انما الالم لحظة واحدة طويلة اللبث ، واني للناس أن تجزئها وتقسمها ؟ وان كل ما في مقدور البشر هو أن يسجل حالاتها ويرقب عودة تلك الحالات، وان الزمان لا يستطيع أن ينال منه شيئا أو يفوز علينا بطائل ، وهو دوما ما يفتأ يدور حول دائرة مركزها الالم وعذاب النفس .

ألا شلت حياة خرساء خاملة ، تلك التي يعيشها الانسان ، حياة فتراتها مدبرة على نهج لا يتغير ، ونغماتها موقعة على ضرب واحد لا يتبدل ، فالناس تأكل وتشرب وتنام ثم هم بعينهم الركع للصلاة ، الساجدون لتعاليم قوانين من حديد قاسية لا ترحم ذلك هو الخمول الذي يطبع الحياة بطابع واحد من السأم ، هذه الايام أخوات والناس تخال حالاتها الصامتة كأنها تبعث نفسها وتلتئم بما يحوطها من القوى الخارجة التي لا يفتأ وجودها في تبديل وتغيير مستمر ، ما أجهل الانسان وأضعفه بأسرار الحياة » .

« قد يكون الفوز والمسرة والنجاح أشياء عارية عن ثمرة طيبة ولكن الالم هو أعظم قوة منضجة في الوجود ، وما من مخلوق له عقل يفكر وقلب يشعر الا وهزه الالم هزة عنيفة وان مثل ذلك المخلوق كمثل ورقة الذهب الرقيقة التي تكشف لنا اتجاه القوى ومسارها في الكهرباء ، وما من جرح الا ويدمي اذا لم تهبط عليه يد محبوب عزيز نعم وانه ليدمي حتى ولو فقد الحس بالالم ، أنى وجد الالم فمنبته مقدس » .

« ألا انما المساكين في هذه الحياة حكماء وأكثر برا واحسانا وألطف رحمة وحنانا ، يرون السجن مأساة الرجل التي تمثل على مسرح حياته ، ويعدون الاسار عثرة جد مؤلمة وجائحة تستهبط الحنان من القلوب ولا يجدون فرقا بين نزيل السجن وأسير العناء كلاهما في نظرهم شقي وانه لعمري نظر ثاقب ورأي يضم حكمة الحب وحنان العطف والاشفاق وأما من كان على شاكلة غير هذه فليس الرأي عنده كما هو عند هؤلاء المساكين اذ السجن في نظره وسيلة لاذلال النفس وجعل صاحبها كأنه من الاقوام الطريدة التي لفظتها الانسانية وطردتها المدنية .. »

« ألا انما البكاء لاهل السجن شطر من واجبهم

اليومي ، وأن يوما ينقضي في السجن من غير بكاء ليوم قاس شديد المراس • فيه تظلم الحياة ولا يكون الفؤاد سعيدا »

« يعقب الطرب والضحك مزاج غامض سقيم وأما الالم فلا يعقبه غير الالم •• وليس الالم كالطرب لانه لا يتلثم ولا يتقنع •• من الالم شيدت أركان العالم ولكن العالم لا يشعر وانه ليخلق يوم يولد الانسان من بطن أمه •• قل انما الطرب للجميل من الاجسام وأما النفوس العالية فلها الدموع والآلام » •

ومن الغريب أن نصرانية أوسكار وايلد لم تكن سببا في حجاب معتقداته فقد تناول حياة المسيح في كلامه عن فلسفة الفن وحللها ثم استنتج أنها حياة مفعمة بالخيال الشعري ، نريد أن نقول أنه جعل المسيح من الشعراء وأرباب الفن واليك بعضا ما قاله في هذا الصدد :

« أعتقد أن هناك رابطة بين حياة المسيح وحياة الفن الحقيقي •• لم ينطق المسيح ولا أفلاطون بكلمة الا وسطرت في صفحات الفن لتزيد كماله وتبديه ظاهرا •• اني أرى أن أعد مكانة المسيح ضمن الشعراء » وان أوسكار وايلد لعميق المرمى فقد يخيل لقاريء كتابه أنه يبيح الرذيلة ولا يأبه بالفضيلة وكأني به يقول : دع الانسان ما يشاء وما يحلو له ما دام لا يضر غيره كأني به يقول أن ما يسمى رذيلة تحبه الناس لا لشيء سوى أن القوانين والتعاليم تحرمه فلو أحلته لما رغبت الناس فيه كثيرا ويقول أوسكار وايلد « كما أن الجسد يمتص أقذارا شتى ويحولها الى حركة ونشاط والى تنسيق اللحم في قالب جميل والى ابداع الشعر وتجعيده وصبغ الشفتين والعينين تكون النفس في واجبها اذ تحول ما يكون دنيء المعدن تعبيرا الى خصائص نبيلة تنفع العالم الفكري والى عواطف سامية ذات مرام شريفة •• »

ولقد تكلم عن عواطف كثيرة للنفس فقال في الحب « كثير من الخلق يحبون لاجل الحب ، ولكني بالحب أعيش فلو انما شعشع وهج الحب واشرق سناه في أفق حياتي لحق علي أن أثق أني لا أستحق منه نورا أو ضياء ، فما من آدمي يستحق أن يحب وأما حب الله للانسان فهو حقيقة ترفع اللثام عما هو مسطر مكتوب في لوح الازل بأن الحب السرمدي لا يوهب الا لمن كان غير مستأهل به ، فلئن كان للغضاضة مجالا في تعبيري فعلي اذن أن أقول : أن كلا يستحق الحب الا ذلك الذي يحسب أنه جدير بأن يحب ، ان الحب سر مقدس لا ينال الا بالتبتل والسجود وهو كأس لا ترتشفها غير شفتين مسبحتين وقلب عاشق طهور » واليك فلسفته وان شئت فرأيه في العواطف •• ان القوى الفعالة في العواطف كما قلت في كتاب « النيات » محدودة في نموها وبقائها كالقوى الجسدية المفعمة بالحركة والنشاط وان الكأس التي صنعت لقدر معلوم ليس في وسعها أن تحمل أكثر مما هي له وانه لكبير جرم وعظيم اثم ان يقال ان اولئك هم سبب كل مأساة مفجعة يشاركون الشعور الذي تولده تلك المأساة ان الشهيد في ثوبه وهو يحرق ربما يكون ناظرا الى وجه الله الكريم ولكن من يجمع الحطب ليحرق البريء ومن يضع القانون ليحاكم من لا ذنب له لا تؤثر في قلبه دموع الباكين ولا شكاة الملهوفين •• ليس بعيد على من جمع الوقود أن يرى الناس تحرق • وان هذا المشهد لا يؤثر فيه الا كما يؤثر في قلبه مشهد جزار يذبح ثورا أو حاصد يقطف زهرة •• ان العواطف النبيلة للنفوس الكبيرة ولا يرى الحوادث العظمى الا من بلغ مكانا عاليا حتى يراها •

دمشق ــ صلاح الدين موسى

تحية الجلاء

شعر : حنا الطيار

ذكر الجلاء فهاجني التذكار ... فعليك يا يوم الجلاء الغار
وعلى الهضاب بميسلون تخضبت ... وعلى الشهيد بميسلون يزار
حييت يا ساح الكرامة والعلى ... حياك صوب عارض مدرار
حييت يا ساح الذياد وبوركت ... أشلاؤك القدسية المعطار
نعم الدم المهراق يجري ساطعا ... كالشمس ، فالليل البهيم نهار
أرخص حياتك انها حرية ... معبودة ، عبادها أحرار
ضحوا لها حتى أقاموا شمسها ... والشمس في الدنيا هدى ومنار
الباذلون دماءهم لعقيدة ... قومية ، فدماؤهم أنوار
الله في عون الشعوب اذا غلت ... لم يبق جلاد ولا جزار
قد يعرف الشعب العظيم بحبه ... للتضحيات فللعلى أصهار
قم حي أبطال الكفاح وما جنوا ... بعد الكفاح ، فما جنوه فخار
قم حي أطلسنا الابي فكم جرى ... فيه نجيع عاصف هدار
قم زف للدنيا انتصار بطولة ... هذي بطولات اليها يشار
في المغرب العربي ، في الارض التي ... دوى الجهاد كأنه الاعصار
قوم من الايمان صوغ نفوسهم ... ذاب الحديد عليه والبتار
مدوا الى الموت الاكف وهللوا ... الموت عندهمو دد وعقار
فاذا سئلت عن البطولة يا أخي ... هذي الجزائر أرضها والدار
واذا سئلت عن الشعار شعارها ... الموت في عز .. ولا استعمار
غضبت .. فنالت ، والتحرر غضبة ... محمومة ، وشعارها الاصرار
فاليوم يوم العائدين لارضهم ... بعد الجلاء ، فيومهم ابشار
والمجد للفئة الضعيفة زلزلت ... قدم القوي فماله اقرار
فلكل باغ يا فرنسا جولة ... ولكل مهدوم الضمير النار
قل للذين على الشعوب تجبروا ... قد تلفظون وليس الا العار

عاتبيني

شعر: محمد كناكري

عاتبيني ، واذا رابك صمتي فاطمئني
أنا بالحرف ضنين ، بل سرقت الحرف مني
لا تظني بي سوءا ، أو عزوفا ، لا تظني
لم أزل أسكر في حان هوانا ، وأغني

* * *

عاتبيني بمدى كالوهم ، كالليل السديل
لم تزل عيناك مهوى ظله الحلو الظليل
لن أضل الدرب فيه ، درب شدوي وخميلي
واذا ما قدر الله .. فعتباك دليلي

* * *

عاتبيني برموش ذاويات ذابلات
كحياتي ، كلما أوغلت فيها يا حياتي
وادفنيها برموش راكعات ساجدات
فلقد طال انتظاري .. ولقد طالت صلاتي

* * *

عاتبيني ، وأحيلي لاعج الآهات ومضه
في فيافيها يصلي الخافق المدنف فرضه
وبها أدرك مغزى العمر ، أو أدرك بعضه
وبها ألمح نور الصفو ، أو ألمح ومضه

* * *

عاتبيني بشفاه راعشات كظلالي
حينما يحملني الشوق الى دوح الجمال
فاذا بي تحت جنح الوهم ، أو جنح الليالي
نشوة عذراء تخشى كل صوت أو خيال

* * *

لا تقولي أنت للمتعة عبد .. أنا شاعر
الهوى يزأر في صدري ويجتاح المشاعر
ان لبا بك لا يفتن .. محدود .. وقاصر
ان قلبا لك لا يخفق بالخلاق كافر

عاتبيني ، واذا ما انبح في ثغرك حرف
أو تراءى للدجى أني على شطيه أطفو
فليكن عتبك آها .. كالرؤى .. تصحو .. وتغفو
وليكن كفا ، لها في شعري الحالم زحف

* * *

أنت والماضي وأصداء أماني العذاب
ونداءات حنيني وصبابات رغابي
واللمى ـ ياللمى كالسيل ، سيل من عتاب
كل ما أملك ان في الغد ودعت شبابي

* * *

أنت مهما قلت : « أغلى من عيوني » أنت أغلى
أنت مهما قلت عن شعري حلو : أنت أحلى
هو لولاك ، ولولا عطر لقياك ، ولولا ..
غيمة تزحف في صيف بلادي ، ليس الا ..

* * *

عاتبيني .. وأعيدي .. وأعيدي لي شتاتي
وأغمري خدي ونحري بشهي القبلات
واسأليني .. وأجيبي ، وخذي مني وهاتي
فأنا منك ، ومني أنت ، من نفسي وذاتي

* * *

قد يقول الناس عني : ـ ولقد قالوا ـ منافق
هو والنوم خدينان ، فهل يرقد عاشق
يا لجهل الناس ، هم لو علموا أني أعانق
طيف من أهوى ، لقالوا : صادق .. بل ألف صادق

* * *

عاتبيني ، واذا لم يبق يا حلوة عتب
طوقيني ، أو دعي المبسم للمبسم يصبو
واذا ما بدأت نجواهما تحبو .. وتحبو
أغمضي طرفك ، أو .. لا .. فهو كالمصباح يخبو

* * *

من ديوان (عتابنا غزل) الذي صدر حديثا

دمشق ـ محمد كناكري

يوم اليتيم ..

« للسيدة : عفيفة شمه شماس »



القيت في النادي العربي بمناسبة يوم اليتيم ٢٧ رمضان للأديبة الاجتماعية السيدة عفيفة شمه شماس

* * *

أحسن وان لم تجز حتى بالثنا
أي الجزاء الغيث يبغي ان همي
من ذا يكافىء زهرة فواحة
أو من يثيب البلبل المترنما
أحبب فيغدو الكوخ كونا نيرا
وابغض فيمسي الكون سجنا مظلما

●

قال الشاعر اليوناني بالماس :

« ان نوري لا يغيب ، وقد عرفت المحبة ، لقد عشتك أيتها الحياة » .

ان المحبين الحقيقيين للانسانية ، هم الذين يصلبون ويرجمون ، ويهاجمون — وينفون هم الذين يحومون فوق القمم لا تمس أقدامهم التراب ولا يلامس جناحهم السحاب ، بل يحومون في النور ويذيبون أرواحهم رحيقا ، يقطرونه في مصفاة الالم ويلقونه كما تلقى الشمس أشعتها رشاشا فيه حياة أو بذارا فيه خلود ، ووجودا عاريا الا من الجمال .

يلقونه في تربة النفوس الظامئة الى عصير جديد يحيي الموت فينا بدفئه الناعم ، ونغمه الراقص ، وألمه المستحب .

فلاحق بدون ألم .. ولا استنارة بدون عذاب .. ولا حرية بدون جهاد وفداء .. ولا نتاج بدون معرفة .. ولا احسان بدون تضحية ..

منذ كان الانسان وحتى اليوم ، والى يوم لا ندركه في تاريخ البشرية ، تطلع الدنيا علينا بموجة يتم .. تكون في بحر الشقاء ، وتجري ، وتجري دون ان تستطيع القاء جبينها المتعب على ساحل ما ، الا ساحل الفناء ..

اليتم مشكلة التاريخ البشرية ، مشكلة كل مجتمع ولكنها مشكلة مهملة منسية لا تمر ببال مخلوق ، حتى عندما يتعثر وهو يمشي على الرصيف بجسد يتيم ممدد لا مأوى له الا الرصيف .

صدر أمه في القبر تراب .. وزند أبيه في القبر عظم ينخر فيه الدود .. وقلب المجتمع الذي يحيا فيه لم يمت ، فهل تحجر ؟

فمن هي اليد التي تبذر اليتيم في الارض ؟ هل يد الانسان نفسه ؟ أم يد خفية مجهولة ؟ هل ناموس الطبيعة ؟ أم الخطيئة التي نحملها معنا منذ ان نقلها آدم عن كتفه وأورثها لاحفاده ؟.

ان مشكلة اليتيم تقع على الانسان ، فلا بد أن تكون اليد التي خلقتها يد الانسان ذاته لقد استمر الجنس البشري في الحياة ، واستمر اليتم معه ، وما انفصل

عنه يوما ، وكأنه جزء من ذاته وكيانه ، واستمر الانسان فانتقل من حضارته الرعوية ، الى حضارته الزراعية ثم التجارية والصناعية ، وها هو الآن في القرن العشرين يغزو مملكة الله ، ويصل الى قدم الله العظيم ، ولكن اليتم لم يزل على منكبيه ..

لقد استطاع الانسان ان يمشي على الماء بسرعة الريح وان يمشي في الاجواء العليا مسابقا الضوء ، ولقد استطاع ان يغوص الى نواة الارض ، وان يلمس الكواكب بكفه ، وان يحطم الذرة ، استطاع كل هذا ولكنه لم يستطع ان يقهر اليتم ، ان يخلق الامان في نفس الانسان والطمأنينة في روحه ..

فالحضارة العظيمة ، حضارة القرن العشرين لم تستطع الا تكثيف القشرة الخارجية لحياة الانسان ولسلوكيته الظاهرية .. هذه الحضارة غيرت أكله ومشربه ، وطريقة مشيه ، وزركشت أزياءه وثيابه ، ولكنها لم تخط خطوة واحدة عن نقطة البدء كانسان يجب ان يتطور من الفاضل الى الافضل ومن الجميل الى الاجمل ..

انه يفتش عن الحياة العظيمة في شتى الابعاد ، يبحث عنها خارج ذاته ، فيتجه نحو الاعلى والى الامام ، والى الوراء ، ولكنه لا يعلم انه يجب ان يتجه الى أعماقه .. حيث توجد الحياة في هذه الاعماق ، وحيث توجد في هذه الاعماق جميع القيم والمثل العليا من خير وتضحية .

فلماذا لا يزيح ذلك الحجر الكبير الذي يكمم ثغر نبع التضحية الذي في قلبه .. ليغدو انسانا حقا ؟ وحتى يتعود القلب لذة العطاء ، كما يتعود لذة الاخذ ..

هذه التضحية التي هي ارادة القوى ليقوى ، وارادة الضعيف ليتخلى عن ضعفه هي النار المقدسة التي تطهر النفوس ، وتلتهم الاعشاب الطفيلية ..

هذه التضحية التي هي أشرف وأقصر طريق تسير فيه الامة لتحقيق ذاتيتها ، وأنبل السبل التي تسير فيه الانسانية لتبلغ غايتها ، وبدون تضحية ما الانسان الا آلة لاحس فيها ولا شعور وهذا ما جعل اليتيم يبقى خلال العصور مشكلة الحياة الاولى ، وبقي الانسان اليدالرهيبة التي تقذف بأمواج اليتم الى محيط الانسانية .. وما جرب مجتمع بصورة مباشرة أن يقضي على هذهالمشكلة على صعيد الفرد ، وعلى صعيد الجمعية ، وعلى صعيد الدولة فالمشكلة عميقة الجذور ، عندما لا يفكر في حلها الانسان ، وعندما يكون سلبيا بالنسبة اليها ، ولكنها بسيطة اذا فكر فيها الانسان باهتمام وايجابية ..

ففي كل دولة جيش من الايتام ، لا مأوى لهم ، ولا آباء ، ولا أمهات ولا يشك أحد معي أن يتيما ما ، لم يركع على الارض ، ولم يصل لربه من أجل أن يجعله يتيما .. ولكن يتمه أورثه اليه أبوه ، أو مجتمعه أو القدر القاسي الذي قيده في سلاسل اليتم ..

فالخطأ ليس خطأه اذن ، ولهذا أصبح لزاما على غير اليتيم دولة أو فردا ، ان يكون أبا لليتيم ليس في العطاء المادي وحسب ، وانما في المحبة والاشعار بالمساواة فيكون كل منا لهذا اليتيم أبا أو أما ، نعوضه ما فقد من حنان ، ونوفر له التربية الصالحة ، والمأوى اللائق ، ان نبعد فكرة الشفقة في معاملته ، ونعمل بدافع الكرامة والعدالة الاجتماعية ، مترفعين بانسانيتنا الى مستوى أكثر عدالة بالنسبة لايتامنا الذين خاطبهم الشاعر (بالماس) في صلاة يقول فيها :

الى اولئك العائشين في عالم النسيان ..

الى اولئك القابعين في غرفهم الدامسة ، يترقبون الغد المجهول وهم يعرفون انه لن يجيء ..

الى الذين يتضاحك من قبحهم الناس ، والذين يهزأ منهم الناس لسلامة في قلوبهم ..

الى الذين يموتون في كل يوم وهم على قيد الحياة، الى الذين يتألمون ليرتاح غيرهم ..

الى الذين لا يستطيعون أن يذرفوا الدموع لكثرة ما ذرفوا ..

الى اولئك الذين يجرون الالم وراءهم ، وقد أضناهم البؤس والفقر .. ارفع اليك الهي قلبا بشريا..

وما القلب البشري الذي عناه الشاعر ورفعه الى الله الا القلب المملوء محبة وخيرا ، وشعورا انسانيا رحيما ..

« حدث ان مر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،

بباب قوم عليه سائل يسائل ، وكان شيخا ضرير البصر فضرب عمر عضده وقال : من أي أهل الكتاب أنت ؟؟ فقال يهودي : فأخذ بيده وذهب الى منزله وأعطاه مما وجده ، ثم أرسل الى خازن بيت المال وقال له : انظر الى هذا وضربائه ، فو الله ما انصفناه اذا أخذنا منه الجزية وهو شاب ، وتركناه يتسول وهو شيخ ، انما الصدقات للفقراء والمساكين ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب ، وأجرى له رزقا دائما من بيت المال •• »

ولقد حدثنا أبو ذر الغفاري قال :

« خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوما نحو أحد « وهو جبل كبير في الحجاز » وأنا معه فقال : يا أبا ذر ، فقلت نعم يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، قال ما يسرني ان لي مثل أحد أنفقه في سبيل الله ، أموت وأترك منه قيراطين •• قلت أو قنطارين يا رسول الله ؟

بل قيراطين •• أي أنه ليؤلمه أن يكون له مثل أحد ذهبا يموت وفي يده قيراطان لم ينفقهما في سبيل الله ••

فقيمة الانسان بما يحسنه ويعمل من أجله ، وهذه هي الفضيلة ، وليست هي كما يترنم بها بعضهم كترنمهم بأغنية مسلية ، وما دروا أن الفضيلة ليست طائفة من المحفوظات تحشى بها الاذهان بل ملكات تصدر عنها آثارها صدور الشعاع من الكوكب ، والاريج من الزهرة ••

والفضيلة سعي لاصلاح دائم ، وحنان حكيم ، فكم من أشواك برية ، استحالت الى ورود ذات شذى بفضل من أحسن اليها ، واعتنى بها ، فنمت وعطرت محبيها ، وعطرت الانسانية بأريجها الطيب ••

ان داخل جدران هذا النادي العريق ، نفوسا أبية تقدس المحبة ، نفوسا عربية مملوءة بألف نشيد ونغم ، تمزق أي وتر لا يسمع منه صوت القومية العربية مجلجلا ••

انها تعمل لاهداف انسانية ، صابرة ، وصامدة ، أمام العواطف ، تقتحم العثرات والاشواك التي تعترض طريق الركب العربي الافضل السائر في سبيله الى قمة من قمم الحياة الرائعة في ظلال جمهوريتنا العربية السورية ومبادىء القومية العربية ••

ولكم هو شعور انساني رائع هذه الالتفاتة من نادينا العربي في دمشق الى اليتيم والى تكريمه واذا كانت هنالك في العالم أمة ينبغي لها ان تعنى باليتيم ، وتهتم به وتكفله فهي الامة العربية ••

أليس الرسول العربي قد عاش يتيما ؟ وكفله جده وعمه ، فذلك شأن يشرف اليتيم في الأنسانية كلها ويجعلنا نصونه ونكرمه ، وأضيف الى هذا بأن عيد اليتيم وتكريمه ليس فقط هذا الاحساس النبيل الذي نسهم به كأفراد ، بل هو تنظيم التعاون بين الهيئات الخاصة والافراد من جهة ، وبين الدولة الرشيدة الام من جهة أخرى •• كيف لا نتعاون جميعا لانقاذ اليتيم وحل مشكلاته وكثير من العظماء هم من الايتام الذين شربوا دمعهم ، وأكلوا حزنهم ، وهم منفردون لا يجفف دمعهم أحد ، وظلوا في فقرهم ويتمهم الى أن استحالت دموعهم الغزيرة الحارة ، قطرات مغذية خالدة سكبوها على ازهار حياتهم فنمت وعطرتهم وعطرت التاريخ بشذاها الفواح •

فثق يا بني اليتيم في سوريا العربية الكريمة • وفي الجزائر المناضلة ، وفي فلسطين الباسلة ، وفي كل قطاع عربي ، بأن أمك المرأة ترعاك بكل ما وهب الله لها ، من حنان ورحمة ، وصبر وتضحية •

انها تعمل بدأب مع أخيها الرجل لنشر الروائح الشذية في آدابنا •• وأخلاقنا ومبادىء علمائنا وتسهر لتكون قلوب أبناء بلادنا نقية كهوائها ، صافية كسمائها ، وحكوماتها صالحة كأنبيائها ••

كيف لا نثبت أمام العواصف والمكائد ، بل كيف لا نثور على الظلم ، ونعمل بروح الانسانية الحقة ولنا عقول تفكر ، وقلوب تخفق ، ونفوس تأبى حياة الذل والعبودية والتواكل والتشرد ، ولنا تاريخ مجيد سجلت فيه آيات الوفاء والإخلاص والشرف ، والعدالة ، ونحن على الآثار الرشيدة الحكيمة لمن تقدمنا سائرون ، وعلى تحقيق المدنية النقية الكريمة عاملون ، لا نلين لعاصفة ، ولا يقوى تيار على النيل منا ما دمنا بأخلاقنا العربية معتصمين وفي حقل الانسانية واليتيم عاملين •

قديم ...

حماه

لابن حجة الحموي

هواي بسفح القاسمية والجسر
اذا هب ذاك الريح فهو الهوى العذري

وفقري الى رشف الرضاب الذي حلا
من النهر حلى سائل الدمع في النحر

وعاص رحيب الصدر قد خر طائعا
ودولابه كالقلب يخفق في الصدر

وقد أشبه الخنساء نوحا وأنة
وها دمعه قد جاء يجري على صخر

فيا جيرة العاصي اذا ذقت ماءكم
أهيم كأني قد ثملت من السكر

ولولا بقايا طعمه في مذاقتي
لما ظهرت هذي الحلاوة في شعري

وقد أصبحت تلك الجزيرة جنة
ألم تنظروا الانهار من تحتها تجري

تفوق عيون الزهر فوق شطوطها
عيون المها بين الرصافة والجسر

وان كان قدري في طرابلس قد علا
وقد لقيتني وهي باسمة الثغر

فان فراق الالف والخل والهوى
وفقد الحمى والاهل صعب على الحر

فيا ساكني مغنى حماة نعمتمو
صباحا ولو ألغيتم في الهوى ذكري

فودي ودي مثلما تعلمونه
ولكن صبري عنكم عاد كالصبر

... وجديد

حماه

لاحمد الصافي النجفي

هذي حماة مدينة سحرية — وأنا امرؤ بجمالها مسحور
يا ليت شعري ما أقول بوصفها — وحماة شعر كلها وشعور
أني مشيت فجنة وخمائل — أو أين سرت فأنهر وجسور
وكأن شهب الافق ان جن الدجى — نزلت بعاصيها الجميل تسير
واذا تموج ماؤه رقصت به — شهب السماء فعمهن حبور
وترى النجوم تصادمت وتكسرت — قطعا كما يتكسر البلور
وبها نواعير متى أبصرتها — أبصرت أفلاك السماء تدور
تبغي مصافحة السماء اذا علت — فيردها شوقا اليه غدير
وتغوص في النهر الجميل وتعتلي — فيسيل منها اللؤلؤ المنثور

الرحيل ..

شعر محمد كمال

صديقتي ..
اغرقتني بالحب والطيوب ..
ورحت تنسجين دربنا الحبيب
صديقتي ، مـاذا يفيد الدرب
يا صديقتي ..
والليل في دروبه .. لا نجم
لا قمر ..
وهل يعيش المرء كل عمره
مع النهار ..
يا طفلة العينين .. يا صديقتي
لا نور في النهار
الزيف والظلام والدمار
نحسبها نهار
حياتنا تمزق ، عثار
هناك يا صديقتي
في عالم الغيوب ..
متاهة أغفلها البشر
كالصخرة السوداء .. يا صديقتي
لا نجم .. لا قمر
يعيش في دروبها رجال
لم يخطروا ببال
حياتهم خيال
وجوههم كرعدة القدر
جباههم عبوس
عيونهم فؤوس
يقطعون الليل والصخر
صديقتي ..
يقطعون الليل والصخر
يفجرون النور .. ينثرونه
ويحفرون .. يحفرون
غير عابئين بالنهار
بالزيف ، بالظلام ، بالدمار ..

الليل في دروبه لا نجم ..
لا قمر
لكنهم يبنون انجما غزار
وقمرا لا يشبه القمر ..
ويشعلون الكون
أنهارا من الضياء
يبنون حوله
السياج عاليا
حدوده السماء
يبنون من دمائهم غسق ..
هم فوق فوق صخرة الضياع
« سيزيف » مل وانتحر
والباب خلفه اصطفق ..
اخوته جياع ..
من شره .. من صخرة الضياع
ويكتب البقاء ..
حروفه في لوحة الزمان
الخلد للذين فجروا الليال
وعمروا النجوم والقمر
وأنت يا صديقتي ..
اغرقتني بالحب ، والطيوب
ورحت تنسجين دربنا الحبيب
في عتمة النهار ..
في ظلامه الكئيب ..
صديقتي ..
سأسرع الخطى ..
سأرجم النهار
أرجم الظلام
أعبر القفار ..
سألحق الرجال يا صديقتي ..
سألحق الرجال ..
خيولنا قد ملت انتظار
قد ملت انتظار ..

في فن القصة

فتوح

بقلم : عيسى فتوح



كثيرا ما تطفو على وجه القاص علامة استفهام كبيرة ، وترتسم أمارات الحيرة فيسأل نفسه : بم أبدأ قصتي ؟! أي حادثة أهم كي أبدأ بها ؟.. هذه ؟! كلا بل تلك ؟ ويروح ساعات يقلب الامر على شتى وجوهه، فاذا بالافكار التي جمعها في ذهنه لحبك مسألة ما في القصة تندثر وتتلاشى أو تضيع بعد أن كان منها قاب قوسين أو أدنى .

والحق يقال ان مسألة البدء والانتهاء في القصة تحتاج الى شيء من البراعة والحذق ، فاذا ما عرف القاص كيف يستخدم هاتين الناحيتين استطاع أن يصطاد كل فكرة ربما كانت هي عماد قصته وعمودها الفقري .

ومهما يكن من أمر فلا بد للقاص من أن يعاني مسألة تهيئة الاذهان في بدء قصته ، بل هو محتاج كل الاحتياج الى شيء من التمهيد وبسط الجزئيات التي تضع بين يدي القارىء الخيوط الاولى للقصة . واذا قصرت مسألة حسن البدء على القصة نفسها فذلك لانها أكثر الاعمال الادبية حاجة لذلك . فتصميمها الذي يتكلم عنه البعض فيسميه « أحداث القصة » لا بد فيه من تهيئة الاذهان . ولهذه التهيئة شروطها وأصولها ، فليس من تهيئة الاذهان في شيء أن تبدأ بترويع القارىء بحادثة مفاجئة كالانتحار أو القتل ، فتصدم بها شعور القارىء صدما عنيفا ، لان من طبيعة المفاجآت أن تأتي أثناء سرد القصة لا أن تكون أول شيء فيها .. فما أتفه القصص البوليسية التي تعتمد على ترويع القارىء!.. ولولا عنصر المفاجآت لما رأينا تهافت الضعفاء عليها حتى تكاد تكون اللون المفضل لدى المراهقين الذين لا تعجبهم غير المغامرات والبطولات الخارقة وحوادث العنف . ولا يقف هذا المظهر عند روايات أرسين لوبين وطرزان .. بل يتعداه الى الافلام الحربية المليئة بالصراع والسلاح والاشلاء والدماء .

ان مثل هذه العواطف الثائرة الهائجة في القصة ـ أية قصة ـ لا يمكن أن تعد من العواطف الادبية ، لان من شروط العواطف الادبية أن تكون رزينة ومتزنة ، هادئة هدوء الموج في أيام الصحو . وكلما اقترب من الهياج والقلق اقتربت من السخف والتفاهة .

وهناك من الكتاب من يبدأ قصته من حيث يجب أن ينتهي ، فيعرض علينا مشاهد الختام ، وقد يكتفي بايجازها أحيانا .. كأن يرينا امرأة جريحة ، أو لقاء بعد جهود كبيرة ، ووعود ممطوطة ، ومحاولات فاشلة يائسة ، أو زواجا بعد قهر وكبت طويلين .. وهذا الاسلوب التراجعي أو التنازلي معروف عند بعض الكتاب غير أن ما ينقص من قيمته هو جهل بعضهم كيفية سوق الحوادث الاولى .. فلا يجب أن تأتي عنيفة ولاصاخبة، بل متدرجة متسلسلة ، يتخللها التشويق ، ومثل هذا

لا يكون بالترويع والمفاجآت أبدا •• وهنا لا بد من أن نشير الى أن قضية بدء القصة تختلف من كاتب لآخر حسب المدرسة الادبية التي ينتمي اليها • فالواقعية مثلا لا تقيم أحداثها على التطهير وعلاج النفس ، بل تعرض الجوانب التي تقع في الحياة دون تغيير أو تبديل، فهي تعرض الجمال والقبح وتعرض الفضيلة كما تعرض الرذيلة ، وتعرض النبل كما تعرض الخساسة ، لانها تعتقد أن علاج النفس خير من أخذها بالوعظ والارشاد، أو بالتعبير عن الشيء الجميل دون سواه كما كان يفعل قدماء اليونان ، بل بعرض جوانب النفس كما هي لا كما يجب أن تكون كما تنص المدرسة الاخلاقية •• فكم من مصلح يبكي ويصرخ ثم لا يجد الا الفساد يملأ البر والبحر •• ومن هنا يظهر عجز الارشاد والوعظ في الادب عن ادراك الغاية الخلقية ، ولذلك كان فضل التعبير عن الواقع أنجع طريقة في مثل هذه الاحوال •

والجدير بالذكر أن الادب بنوع عام لم يعد أدب توجيه مباشر بل أدب تحليل ، يغوص الى أعماق النفس الانسانية ويصورها على حقيقتها ، وربما كان ذلك أكثر خيرا ، فأنت لا تستطيع أن تخدم الاخلاق بشيء أكثر من فهم النفس البشرية ، لان أعماق هذه النفس كلها طهر وسمو وخلق نبيل ، ومخطىء من يقول ان الشر من طبيعة النفس دوما ، أو أنها تجنح للشر أكثر مما تجنح للخير ••

أما الرومانسيون فيتبعون خيالاتهم ، ويعبرون عن الاشياء كما هي في ذواتهم لا كما هي في واقعها ، ولذا يبقى كلامهم دوما بعيدا عن الحقيقة •

ثمة فريق ثالث يحاول الحفاظ على الترتيب المنطقي في القصة ، فيعرض الاحداث عرضا تاريخيا دون تقديم أو تأخير ، وهو حريص مع هذا على ايرادالاسباب والنتائج ، الا أن هذا الالتزام ربما كان سبب افساد الافكار على القاص ، اذ لا يشترط أن يكون المنطق من مقومات القصة ، بل هو جدير بالعلوم أكثر ما يكون •• وكل قصة تقوم على المنطق فاسدة البنيان • ولكن لا يفهم من قولنا أنه يجوز للقاص أن يكدس أحداث القصة تكديسا ، تاركا التنسيق جانبا ، بل نقصد أن القاص الناجح هو من يعرض الامور كما تجري له في حياته العادية ، وكما تحدث ليل نهار مع شيء قليل من التحوير ، وذلك لئلا يخرج بالحقائق الى ضرب من الخيال الذي لا يمت الى الواقع بصلة ، ومن هنا نصل الى موضوع هام هو الاديب والتجربة الشخصية ، وهذا بدوره يقودنا الى السؤال التالي : هل يشترط بالاديب أن يعاني التجارب والاحداث والوقائع كلها ليستطيع التعبير عنها ؟

وفي الجواب نقول : ان العمل الادبي سواء كان قصة أم شعرا لا بد أن يتوفر له نصيب من الواقع ، والاحداث المحسة هي التي يكون قد عاناها الاديب في زمن مضى ، ثم خزنها في خياله الحافظ ، حتى اذا حان وقت التعبير عنها نسجها في قصة أو شعر أو مقال أو مسرحية •• على أن نصيب القصة من الواقع يجب أن يفوق بكثير نصيب الشعر ، ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان الشعر خيال كله ، وما أضيق أفق الاديب الذي يقعد مكتوف اليدين في انتظار المناسبة أو الحادثة التي تمر به فيعبر عنها ، ومن هنا ينشأ عدم تقييمنا لادب المناسبات •• ان النفس الحساسة هي التي تعبر عن ذاتها وذوات الآخرين في آن معا ، وترسم ما يعرض لها ولغيرها كي تستطيع انتاج أدب حي خلاق •

يبدأ الرومانسي قصصه بدءا واحدا لا يكاد يتغير من قصة لاخرى ، فهو يروي انطباعاته قبل كل شيء ، يرويها من خلال عواطفه التي لا تتأثر بزمان أو مكان أو بترتيب منطقي ، بل تتخذ صفة (الانا) سبيلا الى الظهور • ولذلك كان الرومانسيون يبدؤون قصصهم بعبارات هائجة ، عاطفية مثيرة ، أو بطولية نادرة جدا ، لم يألفها أحد قبلهم ، وبالاجمال فهنالك طرائق أربع لا بد من اتباع احداها في كتابة القصة •

١ ـ طريقة السرد المباشر :

وتعتمد على وصف الحوادث وتطورها بشكل

متتابع ، وهذه الطريقة أكثر شيوعا ، غير أنها تحتاج الى مهارة فائقة ، فالقاص يستخدم فيها ضميرالغيبة ، ويتحدث عن الوقائع كما لو كانت تتحدث هي عن نفسها ، وهكذا يكون عمل القاص فيها كعمل المؤرخ وكاتب السيرة •
ومن المؤسف أن طرائقنا في كتابة القصة ما تزال طرائق صحافية ، يكتب القاص قصته دون مراعاة الترابط فيها ، بل يكتفي بالترابط المنطقي • وقد أشرنا سابقا الى أن الترابط المنطقي في القصة دليل على السخف ، ذلك لان ارتباط المقدمات بالنتائج والسبب بالمسبب من اختصاص العلوم المنطقية وليس من اختصاص قصة تسرد فيها شعورك •• ان الصدق يدفعك الى عدم الكذب في حادثة تأتي بها على سبيل التقرير • ولا يخفى أن كل قصة تعتمد على حشر أكبر عدد ممكن من الابطال هي قصة فاشلة ، لانها استمدت مقوماتها من الكم ولو استحدثتها من الكيف لكانت أوقع وأسوغ ، فالكيف هو الذي يجمل الصورة في عين القارىء سواء كان في شعر أم في قصة •

٢ ـ طريقة التحليل الذاتي :

وهي أن يتخيل الكاتب البطل أو البطلة ، ويضع نفسه موضع أحدهما فيكون الحديث بضمير المتكلم ، الا أن هذه الطريقة تحتاج أيضا الى مهارة ، لان على القاص أن يشعر بشعور البطل ، ويتخيل ما عسى أن يصدر عنه ، وهذا يحوجه الى دراسة النفسيات ، والالمام الواسع بالعلوم النفسية ، ولذلك كانت انجح القصص عادة هي التي يكتبها المختصون بالسيكولوجيا •

يقول الاستاذ أحمد الشايب : « ان القصصي البارع هو الذي يستطيع أن يجعل الشخصيات المتباينة والعواطف الكثيرة اللازمة لشرح نواحي الحياة وجوانب النفس تتجلى في قصته •• وهو الذي تمكنه نظراته البعيدة ، وتجاربه الواسعة ، وقدرته على بعث الانفعالات المنوعة على لسان الاشخاص القصصين أو المسرحين : فهذا ملك جليل ، وذاك قائد حماسي ، وتلك امرأة ثائرة ، وهذا خادم أمين ، وذاك شيخ ورع ، وكل اولئك يمثل القاص أو مؤلف المسرحية طبائعهم وعواطفهم المتصلة بمواقفهم الروائية فكيف الحال اذن ؟ قل من تتوافر لديه هذه المعجزة ، وربما كان شكسبير هو الشاعر الفذ الذي بلغ في ذلك مبلغا لم يتوافر لاحد ، أما سائر القصصين فأغلبهم من يتبع ناحية أو ناحيتين مثلهم في هذا مثل شعراء الغناء •• ومن هنا تتفاوت فصول الروايات وشخصياتها في درجات القوة والبراعة • »

ومن الكتاب الذين اتبعوا طريقة التحليل الذاتي نعد طه حسين في قصته « الحب الضائع » ونجيب محفوظ في قصته « السراب » •• وقصارى القول ان التناسق والانسجام هما أول ما يطلب من القاص •

٣ ـ طريقة تبادل الرسائل :

وهذه الطريقة صعبة وعسيرة لانه يخشى أن تكون الرسائل على وتيرة واحدة فيملها القارىء ، لذلك أخذوا على ريتشاردسون هذه الناحية ، ووصفوا أبطاله بمرض كثرة الرسائل • وقد تستقبح أكثر اذا لم يحسن الكاتب سردها سردا مقبولا •• ولا يخفى أن في الرسائل أشياء تافهة لا يليق ذكرها ، لذلك كان على القاص أن يعمد الى الاختيار في مثل هذه الاحوال • والاديب الناجح اجمالا هو من يجعل الاختيار والاصطفاء رائدا له وأساسا في كل ما يكتب ، وعمله يجب الا يبعد عن عمل البستاني الذي يدخل الحديقة ، فيشذب غصنا ، ويصل واحدا بآخر ، أو كالذي يريد جمع باقة من الازهار بغية اهدائها لصديق أو قريب ، فيختار لكل ما يناسبه الورد الاحمر لمن يحب ، والابيض لمن يصادق ، كما يختار الياسمين لمن يحترم ، وهكذا فعليه أن ينتقي الشيء الضروري والمناسب في آن معا •

والمهم من هذا أيضا أن تعرف متى يجب أن تصمت قبل أن تعرف متى يجب أن تتكلم •• ومن انجح قصص هذا النوع الذي يقوم على تبادل الرسائل قصة جان بول سارتر ـ زعيم المدرسة الوجودية ـ واسمها « مذكرات انطوان راكوانتان » وقيمة هذه القصة في أنها لم تتخذ طريقة الرسائل وحدها ، وانما امتزجت فيها الاحداث بالرسائل •

هذا ولا بد من القول ان أروع أدب هو أدب المفكرات ، حتى قيل انه لا بد أن يذهب بأدب القصة بعد سنوات ، فالرسالة هي أول شيء يعبر عن عواطف

الانسان تعبيرا حقيقيا صادقا خاليا من التمويه والكذب ، ومن هنا تتكشف لنا أنانية الانسان وفرديته •

لقد كان الاديب الفرنسي أندره جيد ماهرا جدا في معالجة القصص على طريقة الرسائل ، وبخاصة في قصته « مدرسة الزوجات » اذ أنه لم يكتف بالرسائل كرسائل مجردة بل ضمنها التحليل الذاتي ، فهو يصف الاحداث تارة ، ويصف الرسالة تارة أخرى ، ويوطىء بالرسالة الاولى للثانية وهكذا •• وبهذا التنقل استطاع أن يكسب الاسلوب حيوية ورشاقة •

٤ ــ طريقة ادوار دو جاردان :

سميت هذه الطريقة باسم أول رائد لها وهي تعتمد على الحوار النفسي أو « المونولوج » •• شاعت أول ما شاعت ، في فرنسا حتى صارت مألوفة وعادية ، يجنح اليها الكتاب بيسر تام ، ثم أخذت طريقها الى أميركا ، كما تفشت في لبنان ، وبخاصة بين الكتاب الناشئين ، وقد بدأت بوادرها تظهر في سوريا •• وتدل هذه الطريقة على تحكم الانانية والذاتية في شخصية كل انسان يريد أن يحصر الحديث في نفسه ، ولذلك فهو يلغي الزمان والمكان والاعتبارات المنطقية ويتكلم حرا كما يشاء •

شاعت هذه الطريقة عن دوجاردان وهو شاب في قصته « لقد قطعت أشجار الغابة » وهي تدور حول ممثلة دعاها على العشاء ، فيذكر ما دار بينهما من حوار ، لكنه نسي الممثلة والاحداث وأخذ بالحوار النفسي فقط • وقد اتبع مارسيل بروست هذه الطريقة في كتابه « البحث عن الزمن الضائع » •

وكما اشترطنا في بدء القصة البساطة والتسلسل الطبيعي كذلك تشترط في الخاتمة أيضا ، أن تكون طبيعية ، لا تنتهي بمأساة أو فاجعة ، بل نسمح للاحداث تأتي كما هي في عالم الطبيعة • ومن المؤسف أن أكثرنا يعتبر القصة فاشلة اذا لم تنته بانتحار أو حادثة سرقة أو غير ذلك ، فكأن تقييم القصة يعتمد على عنف الحوادث وصخبها !!•• ويشمل هذا الحكم الخطيب والكاتب على حد سواء ، ومن هنا كان الخطيب مثلا مضطرا الى أن يأتي بالاشياء ذات الاثر النفسي العميق ليحكم عليه الجمهور بأنه خطيب مصقع ! •

ولكن ليعلم هؤلاء أن القصة التي تقوم على الاشلاء والدماء والصراخ والنحيب ، وتجعل العنف رائدا لها هي قصة فاشلة ، لان أثرها سرعان ما يزول من النفس ، ولذلك لا تعد هذه العاطفة المائجة بين العواطف الادبية ، لان العاطفة الادبية يشترط فيها الهدوء والاتزان • قال سعيد عقل في مقدمة قصيدته « المجدلية » انه « لم يقم أثر فني أو عمل عظيم في حالة هياج ، فالفن نتيجة الهدوء زعسل لا واع » • كما ان العاطفة الادبية يجب أن تتصف بالاستمرار والديمومة لكي نشعر بجمال العمل الادبي أو قبحه على النحو الذي أراده الكاتب ، والعاطفة الاصيلة هي التي تبقى محافظته على المستوى ذاته من الديمومة في الماضي والحاضر •

كثيرا ما نسمع شاعرا يجيد الالقاء فنتأثر به ، لكن تأثرنا وقتي ، بدليل أننا لو تناولنا هذه القصيدة نفسها لنقرأها قراءة عادية لرأيناها فارغة جافة ، والسبب يرجع الى تنوع الالقاء لا الى تنوع الابداع •

وكما أن القصة أحوج الاعمال الادبية الى التصميم كذلك هي أحوج ما تكون الى حسن التنقل ، والا أصبحت أحداثا تروى كما تروى الاحداث في بطون السير والتراجم والتواريخ ، ولذلك لا حاجة لنا لافتعال التنقل واصطناعه لان الحياة بأحداثها تسير سيرا طبيعيا ، ولا تقتضي منا زيادة شيء •• ولا يخفى أن اثارة المشكلات العنيفة في وسط القصة ، كاثارتها في أولها ، غير مستحسن في الاسلوب الطبيعي ، غير أن الكاتب الرومانسي الذي اختار عالم العاطفة والخيال لا بد أن يولع بالمفاجآت ، وفي هذا يقول مارسيل بروست : « القصة هي تلك اللذة المبهمة الغنية بالمفاجآت غير المتوقعة » فاللذة عند بروست اذن ناجمة عن ذلك الابهام الذي يبعثه الجو الغامض المكتنف بالسحر والرؤى والاحلام والغيبيات •

ولا يجوز أن يتحكم كاتب القصة بقصته ، فيحشر المفاجآت حيث يمكن وحيث لا يمكن ظانا أنه يجود أسلوبه ، ويزيده حسنا ودقة ، بل يجب أن يترك الحوادث تملي نفسها عليه ، فتأتي المفاجآت دونما توقع سابق ، وهكذا يكون القاص قد أحسن التلاعب بقلب القاريء وشعوره وحبس أنفاسه •

لكن هذا الرأي يعتمد على فكرة خاطئة في أصلها وهي فكرة الاسراف التي نستهجنها عادة في كل شيء ، حتى في تجميل الاسلوب ، وفي الزخرفة ، واذا كانت هنا تستهجن بهـذا الشكل فهـي في بـاب المصادفات والخوارق والمفاجآت ينبغي أن تستهجن بشكل أعنف وأشد ، ولذلك يأخذون على موريس لوبلان في أكثـر قصصه أنه يصدر فيها عن عمل آلي يسخر فيه ـ لخدمة موضوعه واتمام تصميمه ـ مواد مختلفة متضاربة ، وتراه قبل أن يلم بشتات موضوعه يجمع له أكبر عدد مـن المصادفات وضربات القدر لكي يستخدمها عند اللزوم في توثيق الرابطة بين شيء فاتر مضى وشيء بارد آت ، معتقدا أنه ان لم يفعل ذلك جاء عمله غثا فاترا لا يقبله أحـد !

ولعل أشد أنواع المفاجآت وأعنفها ما اعتمد على ضربات القضاء والقدر بوجه عام ، ويلاحظ أن الشرقيين عامة والمسلمين بخاصة ميالون كثيرا لذلك ، وان كان له ما يبرره في حياتنا •• ان حياتنا ينبغي أن تكون جريئة معتمدة على جهدنا وعملنا لا على مـا نتخيله في لوحـة القضاء والقدر • ومن ينعم النظر ير أكثـر قصاصينا وشعرائنا وكتاب السيرة والمقالة يكادون يصدرون عن لعبة بارعة لعبها القدر ، فرفـع فلانا من الحضيض الى السماء أو أنزله من السماء الى الارض •

والحق يقال ان كاتبا يعتمد على مثل هاتيك المقومات يستهوي الناس ـ ولا سـيما البسطاء منهم ـ بأمور لا يتوقعونها ، فنراه دوما يغلف قصته بغلاف غامض من المجهولات ـ والنفس نزاعة دوما الى المجهول ـ مثال ذلك نجيب محفوظ في قصته « بداية ونهاية » • فبطل هذه القصة صغير يدعى (كامل أفـندي علي) يموت ـ بعد خدمته في الحكومة ثلاثين عاما ـ فريسة الفقر والمسكنة ، ولكنه يترك وراءه (نفيسه) و (حسنين) الا أنهما ينتحران بعد أن تشتد الضائقة عليهما •• وهكذا نرى أن الموت الشنيع والانتحار كانا نهاية قصته التي البسها اسما يكاد ينبيء عما تضمنته من أحداث • وكأني بهذا الكاتب يشعر أنـه اذا لم يأت بخاتمـة موفقة في اعتقاده ـ ولتكن القاءة في النيل ، أو حبلة تربطها نفيسة على عنقها ـ جاءت قصته باردة نابية !

والواقـع أن أسـلوب المفاجآت أسلوب منحرف وشاذ ، أما الاسلوب الحقيقي الذي يهب الكاتب أصالته فهو الاسلوب الطبيعي الصرف ، الذي لا يبحث فيه عن ضربـة موفقة أو خاتمة مروعـة ومؤثرة • وبالاجمال يجب أن تتسلسل الحـوادث في القصة دون حشو أو استطراد ، وكل ما يشعر به الكاتب أنه زاده ، وبامكانه تركه فليرمه غير آسف على رميه •

ومن أسرار المهنة ـ مهنة الكتابة ـ يقف التشويق والمماطلة في الطرف المعاكس للمفاجآت ، ذلك أن القاص يمعن أحيانا في كتمان حل العقدة ، أو كتمان الافكار الجوهرية في قصته ، كما فعل هنري جيمس في قصته « صورة امرأة » فهو يحبس أنفاس قارئه شوقا الى تتبع الشخصية القصصية حتى أنه يجعل القارىء يتساءل في دهشة : ما عسى أن تكون هذه الصورة ؟•

وبعد هذا الحبس الطويـل والتشـويق والمماطلة يعـود الكاتب ليقول : ان الصـورة هي صورة اليزابت آرثر ، وان هذه المرأة معقدة بطبيعتها ، وهذا الغموض هو الذي جعل رالف توشيت يترصد غموضها وشذوذها فكلما ذكرت الصورة ذكـر معها الغموض ، ثـم تتبع الجزئيات مع تكررها في كل فصل • وقد كان الغموض في تتبع صورة هذه المرأة أول لون من الوان المماطلة التي امتاز بها هذا الكاتب • وعلى ذلك الاساس مـن ادراك سر المهنة في التشويق نعد قصة « ظهور سيلاس لابهـام » لوليم دين هاولز ، وأكثـر قصص اسـكندر دوماس الاب تمتاز بهـذه النغمة المشوقة ، عن طريق المماطلة ، ولذلك نراه يتحدث عن ميشليه لا من خلال شخصيته بل من خلال أحداث ترتبط به حتى يفاجئه بها مرة أو مرتين ، فيأتي معنى المفاجآت طبيعيا •

ومن أشهر الكتاب الذين استعملوا أسلوب المماطلة والتشويق كيبلنغ في قصته (كم) التي ترسـم صورة صادقة عن الحياة في الهند •

عيسى فتوح



بطولة عربي

شعر محمود صبحي

« القصيدة الفائزة بالجائزة الاولى في مسابقة جامعة دمشق »

يا فارسا قلد السيفين سيف فم ... طال الزمان فأحياه وسيف دم
أوردت نفسك حوض الموت مبتسما ... فنام عنك ، وعنك المجد لم ينم
تركت في اذن الجوزاء منك صدى ... فأصبح الدهر يتلوه على الامم
ونمت عن شاردات الشعر في ثقة ... والخلق ما بين مسهود ومختصم
وقد ترحلت في كل البلاد وما ... تبغيه عز على الاقلام والكلم
وما رأيت محلا ترتضيه فما ... مواطن الشمس غير النعل للقدم
وما رأيت ملوك الارض قاطبة ... الا أحق بضرب الرأس من صنم
وقد تمردت في وجه الطغاة فتى ... وما رضيت على الاعراب بالعجم
وراعك العرب في أيدي الجناة دمى ... ودولة الصيد تمسي دولة الخدم
وثرت اذ عفت البيداء من شرف ... وأودت الريح بالامجاد والكرم
ففجرت عزة الصحراء فيك لظى ... فرحت تقذفه والشعر كالحمم
وعجت تسأل عن طهر الرمال وما ... حضارة البيد الا الطهر للنسم
وما انتفضت على الايام مدعيا ... فما النبوة الا نبوة الاكم
وما الرسالة الا بعث ما وهبت ... شمس الصحارى من الاخلاق والقيم
تمزقت بك نفس لا تريد لها ... غير المحال وغير الخلد في القمم
لم تلق دهرك الا غير مكترث ... ما دام قصدك منه غير ملتئم
وخضت فيه بعزم لا نفاذ له ... وما انتكست على الاعقاب من الم

لما رأيت حياة المرء تافهة — والموت يفتح شدقيه على نهم
تحفزت يقظة الانسان في همم — تلقى التحدي وفي شعر وفي حكم
فأنت ما بين ثورات على زمن — تحيا به وانتفاضات على العدم
جبت الفيافي عظيم الشوق في ظما — لحد سيف من الاعداء غير ظمي
حتى أتيت حمى الشهباء فانطلقت — فرسان حرب على خيل بلا لجم
حتى اذا ما انجلى نقع الوغى طلعت — مهابة كشفت عن فارس علم
عن فارس عربي الوجه من يده — بحر الندى بلسان غير متثلم
عانقته ونظمت الدر في يده — والدر منها ففعل السيف والقلم
صاحبته زمنا في جحفل لجب — والحرب أقوم من ساق على قدم
فكان نسرا شديد البأس ذائقة — والجيش كان جناحيه الى الرخم
وكنت شعرا فان تنطق بقافية — ينقض ما بين مقتول ومنهزم
حتى اذا عاد موفور اليدين وقد — جنى الذي زرعوا في الارض والرحم
أنشدته ما جنت عيناك من صور — وان تصور له الميدان يضطرم
فاشتاق للحرب واحتدت به همم — فراح يصرعهم بالخوف والهمم
فأنت تنشده والسيف ينشده — وأنت ملء فم والسيف ملء دم
لما رأيت صدودا في مجالسه — فارقته وتركت القوم في ندم
ففارق السيف اذ فارقت قبضته — كلاكما من حنين الشوق لم يلم
ومت لما رأيت المجد مملكة — يعطيها مشتر للملك بالذمم
يا فارس الشعر ان الشعر منتظر — حتى تعود الى الدنيا على قلم
تلعثمت أحرف خجلى على شفة — لم يلثم الشعر يوما ثغرها بفم
هذا يلوك قوافيه لينظمها — وذا يحاول بعث الروح في الرمم
وذاك يلغو بألفاظ ينمقها — ويحسب الشعر تقويما على النظم
فصوح الشعر وانهدت ركائزه — فصار ينثر تجديدا على القدم
والشعر في يومنا ما بين قافية — كلمى الجروح وتضميد على كلم
يا فارس الشعر ان الشعر منتظر — حتى تعود الى الدنيا على قلم

جامعة دمشق ـ محمود صبح

سفارة المانيا الاتحادية

بدمشق

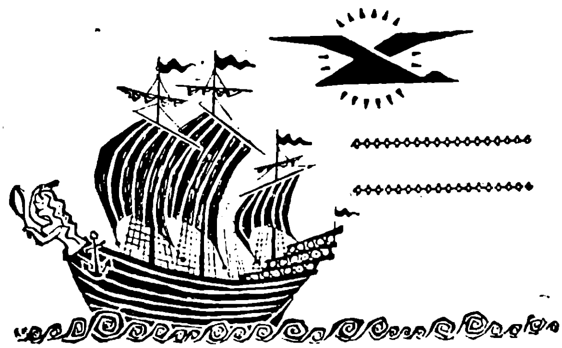
تقدم للشعب السوري

أطيب التهاني بعيد جلاء الاجنبي

عن اراضيه

الصمت الفصيح

شعر زاهي القائد



ماذا وراء الصمت سيدتي
أهما هما عيناك ، أم بهما
عيناك متعبتان .. ما لهما ؟
عيناك معجزتان سيدتي
كم مرة أبحرت عبرهما
ونعمت بالافياء عندهما
اني لالمح في اختلاجهما
وعلى مطل الصحو أغنية
وعد يرف على رموشهما
اني عبدت على سوادهما
ولقد صلبت العمر بينهما ..
ماذا وراء الصمت سيدتي
هو ترجمان الحب دون لغى
الحب في العينين مسرحه ،

ماذا بعيد اللفتة الوجلى ؟
سر بعيد الظن لا يجلى ؟
بوحي .. فآذان الهوى جذلى
بابان للفردوس أو أحلى
ونهلت من خمر الهوى نهلا
ما أكرم الاهداب والظلا !
سرا ينوء وقصة حبلى
مذبوحة وقصيدة ثكلى
يا مرحبا بالطيب .. يا أهلا
ما أذهل المجنون في ليلى
حبي على الايام لا يبلى
لا تخجلي ، فالصمت قد دلا
صمت فصيح اللفظ ، لا يتلى
وحديثه الاطراقة الخجلى !

درعا ـ زاهي القائد

شعر احمد سليمان معروف

لا يحمل الحقد قلب مس جوهره
ولا يعيش بنفس في جوانحها
قد برأ الله قلبي من غوايته
وراح يصفو لمن يصفو ويمحضه
يستقبل الهم رحب الصدر منشرحا
حتى اذا مر طيف الذل معترضا
لي من همومي ألوان منوعة
أحللتها من فؤادي كنه جوهره
ألوذ بالصبر أستبقي شواردها
أنكرت نفسي ان ضاقت بلوعتها
لا خفف الله عن قلبي مواجعه

طهر الشقاء وذاق البؤس والالما
صمت الهموم تعيش الخوف والندما
فراح يرعى العهود البيض والذمما
حسن الوداد وطيب النفس والكرما
ولا يضيق ولا يستنهض الهمما
ابى وعاش الاباء المر والشمما
لو مر بي ذكرها وحدي بكيت دما
وصنتها ممسكا فيها ومعتصما
لا واهنا ـ ان نهى الناهي ـ ولا برما
وضقت ذرعا بها ان لم نمت سقما
ان كان يرضى لهذا الهم منصرما

دعاة الاصلاح في الكويت

بقلم : حسن الخطيب

حينما بدأ الشعب العربي في الكويت يتطلع الى التطور والتقدم ، في مطلع شمس هذا القرن ، تميزت فيه حركتان واضحتا المعالم ، ومختلفتا الطريق والهدف .. تتلاقيان أحيانا لقاء الخصومة والصراع ، وتتباعدان حينا في هدوء كهدوء العاصفة ، حتى كتب للاولى الزوال والفناء ، وكتب للثانية البقاء والاستمرار ، والسير بالامة نحو الخير والتقدم ، والمدنية التي يتطلع اليها ، ويساير ركب الامم في درب الحياة الكريمة .

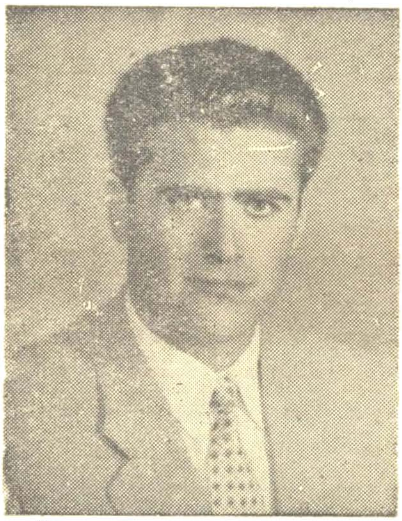
أما الحركة الاولى فقد كانت دعوة الجمود والخنوع .

وأما الحركة الثانية فهي دعوة التحرر والتقدم ، بالعلم والمعرفة والتعاون ، ووحدة الاهداف ، ونبذ الخلافات التي تضعف الامة ، وتبدد جهودها ، وتفرق كلمتها ، ويتزعم هذه الحركة شعراء الكويت ، ورجال الاصلاح فيها ..

ولا يتسع المجال للحديث عن الرجال ، الذين قادوا حركة التقدم والتحرر ، وعن كفاحهم الطويل في هذا الميدان ، ولكنا نريد أن نبين طبيعة تلك الحركة الفكرية ، وغايتها ، وطريقها الصعب ، الذي اختطه الرواد الاوائل من أبناء الكويت ، وشبابها الاحرار ، وكانوا الطليعة التي فتحت آفاق العلم والمعرفة ، للجيل الجديد الناهض .

لقد أراد دعاة التقدم والاصلاح تطورا حقيقيا ، للشعب العربي في الكويت ، تطورا في الفكر والروح ، قبل التطور العمراني ، واجتلاب المكاسب ، لان هذا التطور اذا لم يصحبه تقدم فكري ، وأخلاقي ، وفهم عميق لارادة الحياة وأهدافها .. انقلب ذلك التقدم الى ويلات ومآس عميقة الآثار .

والقارىء لحياة دعاة التحرر والتطور ، والمطلع على أثارهم ، يجدها صراعا عنيفا في وجه الجمود والتخلف ، ودعاة ذلك الجمود والتخلف ، فقد وقف كل الشعراء في وجه الرجل ، الذي كان يتزعم تلك الحركة الرجعية البغيضة ، وهو (عبد العزيز الاحسائي المكنى بأبي صالح) قال الشاعر : (عبد العزيز الرشيد) يهجوه ويرد على دعواه بالولاية والكرامة وخداع الناس :



أبا صالح يا من يرى أنه الذي
به هجر تعلو الى قمة النسر
أيأتي الينا من ربى (هجر) جاهل
تزيا بزي العلم للنهس والعقر

وتشتد الخصومة بين (الاحسائي) وشاعر الكويت صقر الشبيب حتى رماه بالزندقة والكفر ، وأفتى بقتله ، واغتياله ، واضطر الشاعر الى هجر حيه ، وترك بيته الذي يأوي اليه ، وأعلن بيعه ، ويروى اطاعة الناس لداعي الشر ، وتهديدهم اياه ، في قصة طريفة يقول منها :

تقول لقد أفتى بهجرك شيخنا
أناس بشرقي الكويت تقيم
وطاعتنا (عبد العزيز بن صالح)
سبيل الى باب الجنان قويم
فقلت جزاه الله خيرا فهجركم
لنفسي به لو تعلمون نعيم

وهو الذي عناه الشاعر (حجي بن قاسم آل حجي) بقوله :

أضر بالناس قوم
يدعون بالعلماء
يحبذون التمادي
بالجهل للسفهاء
تدرعوا بثياب
ثياب أهل الرياء

ووقف (الشاعر خالد الفرج) الى جانب أخوته في الكفاح والاصلاح ، وعاب على الناس تعلقهم بالخرافات ، وانصرافهم عن العلم والمعرفة ، وتكاسلهم عن بناء المدارس ، والمعاهد العلمية فقال :

فيا ويح قومي والمصائب جمة
لقد لبست ثوب الهوان بلادي
بلاد بها سوق الخرافات رائج
فلم يمن يوما واحدا بكساد
وحسبك أن العلم فيها مضيع
فليس بها من معهد بمشاد

وهكذا انطلقت صيحة الشعراء الشباب ، لانارة العقول بنور العلم ، وانه ليس ضد الدين ، كما يزعم الزاعمون ، وانما هو سبيل واضح لفهم الدين ، كلما استنار العقل أشرق فيه نور الايمان ٠٠ ووجدوا في أمير البلاد خير من يستجيب الى ندائهم ، ويحمل مشعل النور لرعيته التي يرعاها ويريد لها الخير والتقدم ، فقال الشاعر (أحمد المشاري) يخاطب (الشيخ أحمد الجابر) :

هذي رعاياك فوضى الاجتماع لها
وللتخاذل داء قد فشا فيها
هذب مداركها ، عضد مدارسها
وارحم طفولتها اذ أنت راعيها
أكثر معارفها ، أبعد مشاغبها
نقح معاهدها ، واسمع شكاويها

وتوجهوا الى الشعب ، يعيبون عليهم خنوعهم وجمودهم ، ويصورون لهم بؤسهم ، وجهالتهم التي تفرق صفوفهم ، وتحول بينهم وبين مشاركتهم في بناء مجد الامة العربية والاسلامية ، في تطورها ، وانطلاقها نحو مكانتها حينما كانت قائدة العالم ، ورمز الحضارة ، فما بالها اليوم ترتضي الجمود والانحطاط ، فقال الشاعر (خالد الفرج) :

جبت الجزيرة غربها وجنوبها
فرأيتها بتقاطع وتناصب
ان قام فيها مصلح ليلمها
قاموا له من عاتب أو عائب
شغلوا عن الدين الذي هو حصنهم
بطوائف من بينهم ومذاهب

وبهذا المعنى نادى الشاعر (المشارى) أبناء وطنه، يدعوهم الى العلم والمعرفة ، والا يغروا بمطامع الكسب ، ودعاة الجمود والتأخر ، لان الوطن لا يبنيه الا العلم والعمل ٠ فقال :

فتى العلم هذا موطن الكسب والاجر
فشمر ولا تكسل عن النصح والزجر
ودع عنك أقواما بها ضل سعيهم
فما رأيهم غير الغواية والختر
وترديد أقوال السفاهة جهرة
كأن لم يعوا ما في الكتاب من الامر
ودع عنك أقواما بها جل جهدهم
مكاسب جاءت بالخيانة والغدر

ودعوا الى انشاء المدارس ، وتعليم أبناء الشعب ، الذي عليه أن يحمل رسالة التقدم ، ولا يمكن أن يؤدي رسالته وهو جاهل ، وامتدحوا الشباب المقبل على العلم والمعرفة ، وهؤلاء هم الذين عناهم الشاعر(أحمدالسقاف) بقوله في قصيدته التي ألقاها في النادي الثقافي بالكويت في ١٢ـ٣ـ١٩٥٣ :

رجال ملؤهم عزم وعقل
وهم في كل ما نرجوه أهل
بهم تزهى العروبة بل وتعلو
وعندهم اقتحام الموت سهل
ليدرك شعبهم عزا وفخرا

ولما بنىالسيد (شملان بن علي الشملان) مدرسة السعادة للايتام اعتبرها الشعراء والناس منارا للعلم والمعرفة ، ورمزا للمكارم والفضائل ، ومدحه الشاعر (عبد اللطيف النصف) بقصيدته المشهورة فقال :

اليوم نال العلى والمجد ما طلبا
قد أصبحا لابي الامجاد قد نسبا
الله أكبر (يا شملان) كم لك من
مكارم فقت فيها العجم والعربا
بنيت مدرسة أم شدت مفخرة
أم نلت مكرمة أم فزت منقلبا

لله مدرسة الأيتام مدرسة
قد أبهجت بناها العلم والادبا
وما أعد قليل من مناقبه
وكيف يحصي النجوم الزهر من حسبا

ولعل مدرسة السعادة هذه ، لم تكن تساوي في قيمتها المادية جناح مدرسة حديثة اليوم ، ولكنها كانت في أيامها شعلة النور ، التي بددت الظلمة ، والمنهل العذب للنفوس الظامئة ، ومهما تغنى بها الشعراء ، وأشادوا بفضل منشئها لا يؤدوه حقه وفضله ٠٠

ومع أن تعليم المرأة كان بين أخذ ورد بين رجال الدين ، فقد دعا الشاعر (مساعد الرفاعي) الى تعليم المرأة ، لانه يعتبرها النصف الثاني من المجتمع ، وأن المرأة الجاهلة لا يمكن أن تنجب الرجل المتعلم ، كما يعيب على نساء ذلك الزمن ، أنهن مشغولات بأمورهن الخاصة ، التافهة ، عن تدبير منازلهن ، وتربية أبنائهن ٠٠ ويصف ذلك في قصة طريفة ، مع امرأة مات عنها زوجها ، وترك لها طفلا وفتاة صغيرة ، وكلاهما يحتاج الى من يربيه ويرعاه ، الى أن يقول :

ولكن ما حياة بنات جنسي
وما أخلاق ربات الحجال
فقلت لها معارفهن أضحت
بنقش الكف مع لبس السوار
وتزجيج الحواجب واكتحال
وصف الشعر أو سحب الازار
ولا يسطعن تدبيرا لبيت
ولا يحسن تربية الصغار

ويتحدث الشاعر (المشارى) عن نور العقل اذا صاحبه نور الايمان ، شع في النفس الانسانية قبس من الهدى ٠٠ وأن الانسان مدفوع بغرائزه الى الشر ، ومقود بعقله الى الخير ، وهكذا تختلف النفوس بما حوته من خصال حميدة ، وبهذا المعنى قال :

هذي النفوس بحكم الله باريها
ان شاء أسعدها أو شاء يشقيها
تاتي ولا عيب فيها وهي مرغمة
وتنثنى ثقل الاوزار يحنيها
والله أودعها من نوره قبسا
عقلا يعيد لها صبحا دياجيها
ان استضاءت به فالسعد رائدها
أولا فموردها حتما مهاويها

وخلاصة القول : ان المدنية التي نتغنى بها اليوم ، على شاطىء الخليج في الكويت الناهض ،ودور العلم التي تكون منطقة اشعاع فكري في شرقي جزيرة العرب ، وكل حوض الخليج العربي ، ونور المعرفة الذي يملأ كل بيت اليوم ٠٠ كان كل ذلك حصيلة صراع عنيف مع قوى الجمود والتأخر ، وأن حركة التحرر والتطور انطلقت من ظلام الجهالة التي كانت تملأ كل بيت ٠٠ وان رجال ذلك الصراع ، وقادة ذلك الكفاح ، كانوا الطليعة التي تبحث عن الخير ، والرواد الذين سبقوا جيلهم الى أرض المعرفة ، ومهدوا طريق التقدم والتطور ٠٠ فما أجدرنا أن نقدرهم حق قدرهم ، بطبع آثارهم الادبية والفكرية ، واقامة المهرجانات الادبية أحياء لذكراهم ، واشادة بمآثرهم وفضائلهم ٠

حسن الخطيب

ديوان : الحب واللاهوت

للشاعر : موريس قبق

دراسة وتحليل بقلم : يوسف الحاج

المرأة .. الأسطورة .. الحضارة ..

★ ★ ★

عندما يعانق الصيف صفاء البحر ، وتغتسل الصخور بزبد الامواج ، تخلع فينوس غلالاتها الوردية •• ويرتمي الجسد الناعم بين أحضان الامواج الزرقاء ، يتمخض الزمن عن ولادة قصيدة •• عن تبرعم حرف ناعم كجسد المرأة ، وتتململ الاحداف في الاعماق •• تعروها الهفة لتقبيل قدمي فينوس • يقف انسان محمول على أجنحة الضباب •• سابح على شاشة الغيب ، يخطف لنا الصوره في لحظة معطاء ، في ومضة نبي ، وينقلنا على جناح غيمة ضوئية الى دنيا الشعر المعاصر : الذي يستطيع أن يثير فينا الشعور بالانفعال والاحساس بالوفاء بما نريد منه ، ذلك الشعور المغاير لاي عاطفة يستثيرها حتى أعظم نوع من الشعر في عهد مضى • ويسمعنا صوتا جديدا لم نكن نسمعه من قبل •• صوت جديد غير الاصوات التي هي أصداء للسنين السابقة • له نغمه الخاص ، ولونه البكر •• يقف هذا الانسان الذي فطر على حب الجمال والتغزل فيه ، على شاطىء البحر الابيض المتوسط الذي أعطى الانسانية عصارة لما تزل تسقي الجذور الاصيلة للمعرفة ، ليعاتب مصطافة نزقة فيقول :

لن تطردينا •• نحن نصطاف
ولنا على الشطآن أحداف
وجزيرة مغسولة أبدا
بالوهم ، والسكان أطياف
كل الحسان يردن صحبتنا
قبلاتنا كالخمر أصناف

وبعد أن يصفها لنا وصفا رائعا •• يدعوها الى مأدبة تغزل من أضواء الصبح المنسكبة ليقيها من لغو الناس فيقول :

لو زرتنا ، والصبح منسكب
لوقتك لغو الناس أسجاف

★ ولكن فينوس العصر مصابة بالتشتت وعدم التركيز •• تسعى وراء هدفها في المجاهيل :

لا تشقي قلب المحار وطوفي
في بحار أسماكها من حروفي

انه يطعم هذه الاسماك الزرقاء كل الالق •• وهي سمكة تغوص في دمائه •• وتبحر : تعاني دوار البحر ، ترشق مرساتها السوداء في مرفأ الضباب الخريفي ، وترود شاطئا استوائيا •• تغترب •• تدوخ في المواني •• انها طير أليف يعود الى برجه مهما اغترب :

ستدوخين في الموانىء يوما
وتعودين طوع أمري ، فطوفي ••

* وتنتهي فينوس من الاستحمام ، وتدخل غرفة تبرجها •• تشعل الشموع ، فتستحم المرايا بعبير الجسد العاري :

(مرود الكحل ذوب الليـل في رمشين •• فالعين نجمة تتوهج ••)

(قـلم الحمرة استلذ انتهـاء ، وهي تمحو ذراته •• فتعـرج)

(•• هو مرمى العنقود منفرط الحب •• وملهى الشعاع أنى تموج)

(•• أسبلت شعرها سوادا مندى فوق نهد •• فهب آخر يحتج :)

حتى النهد يغار من النهد يطالب بوكف خصلة ، بنفحة بنفسج •• وانتهت فينوس من تبرجها •• وفتك التصبي قلب العاشق •• هل يتقدم ويغصب قبلة عجلى ، لا • انه يدرك الأثر السيء الذي تتركه في قلب المرأة اذا أفسدنا بهرجها • يقول شتاينبك : « •• عندما يحين الوقت لاطلع ابني على خفايا الحياة ، التي لا أشك في أنه قد تعرف اليها ، فان علي أن أتذكر وأطلعه على أمر كتعلق بشعر النساء ، اذ بوسعه أن يصل الى كـل ما يشتهيه قلبه الشبق لو هو تسلح بكلمة لطيفة عن الشعر• ومهما يكن الامـر فان علي أن أحذره أن بوسعه أن يرفسهن أو يضربهن أو يوقعهن أو يقلبهن أو يورمهن ولكن لا يجوز له ـ أبدا ـ أن يشعث شعرهن • فمتى عرف هذا ملكهن •• » • ان شاعرنا ليس بسادي •• انما يتساءل :

ها جرت ليلة •• ولما تنولني ••

أصدا أم خوف تمريغ بهرج ••!؟

* لا • انها تتهرب خوفا من افساد بهرجهاوأناقتها وها هو يعاتبها بلطف ، ويستدرجها بلين • لقد ملكها :

تتـأبين والشـموع صبابــــات

وحسـي بومضهــا يتدفــا

(•• لا تكوني بخيلة يقطر الشريان جمرا •• ويرصد القلب مرفا)

(•• كيف ترضين بالفواصل جذلى !؟ مشتهى الحرف أن يعانق حرفا)

لا تخالي درب المحبـة صعبا

جربي خطوة ، فتمشين ألفا ••

أرأيت أروع من اشتهاء الحرف لمعانقة الحرف••

ولولا هذه المعانقة هل وجدت القصيدة••بله : الانسان؟!

* من تزاوج الحرف بالحرف ، والكلمة بالكلمة يعطينا شاعر « الحب واللاهوت » القصيدة •• انالكلمات جواهر لدى موريس يغوص الى الاعمـاق المرجانيـة ليصطادها •• والجوهرة يجب أن تحتل مكانهـا مـن السوار والعقد •• انك لن تعثر لديه على كلمة قلقـة مترجرجة •• انه ينخل الجواهر ويقطف المرجان من على صخوره •• انه ينحت من صخر مرمري اذا حاولنا أن نطبق مقاييس الاقدمين ، وهذا لا يعيبه •• الكلمة القلقة تزعجه ، لا ينساها ، ولا يتناساها حتى يعثر على الجوهرة الملائمة ••!

* يعـرج موريس على الاسـطورة فيعالجها •• يغوص في أعماق التاريخ ليتحفنا بأسطورة غير مطروقة ، ويعمل فيها تحت أضواء « فرويـد » • وهنـا يختمر الشاعر بعـد أن استغرق طويـلا في أحضان المدرسـة الجمالية •• انه لا يتنكر لها •• انه يتطور •• ينقلنا من هذا العالم المهترىء الى « حور » القديمة في قصيدته : « مولوخ » وهو اله ذكر كان نسل صور يتعبده ، كما يقول الشاعر في مقدمة القصيدة •• في هـذه القصيدة تنحل عقدة الجنس والكبت ، والطقوس في معبد«مولوخ» هي عيد الخصب والحب تعطي : نسلا حرا لا يعرف الاحساس بالالم ولا السأم المر •• لا يدوم في آبـار الطين كانساننا المعاصر المعقد !

* وكما أن التطور قانـون من قوانين الطبيعة ، ومن لا يتطور يموت ويحكم عليـه بالفناء •• كذلـك « الشاعر » يقف على : « المساحة الخفية الارقة كماء أسود عميق ساكن ، وسط هيئة من محكمين لا وجوه لهم ، اجتمعت في كهوف الفكر المظلمة واتخذت القرار

بنفي الانسان ، وسط زحام العصر ليهتف ، وهو أقرب الناس مدخلا الى هذا المكان ـ انه الانسان ذو الرؤى ـ قائلا في قصيدة : العلقم البري :

غدنا كهف رماد أزلي •• معبد غاوى حروفا في شـفة •

•• ما لنا نحضى على الثلج ، ونعرى •• آن لا يكري نبي معطفه ••!؟

ان الانسان يتعرض للسقطة المريعة فلماذا لا يقف في وجه من يريدون له الدمار ان انسان هيروشيما يهيب بالضمير العالمي « أن يسترد ورقة نعيه قبل أن يتلقفه سرداب العدم ••!؟ »

ان الشاعر يتشاءم من أنبياء عصره فكلهم نرجسيون مهلا يا موريس •• ألم يقف جان بول سارتر ، وألبير كامو ، وبرتداندرسل موقفا ايجابيا من قضايا السلام ؟•• ألم يقف كامو وسارتر الى جانب الشعب الجزائري في نضاله المرير من أجل الاستقلال ؟

ان انبيـاء عصرنا انسانيـون •• والجماهير هـي المسؤولة عن عصرها في ازدهاره ودماره !

★ من هنا يبدأ شاعر الحب واللاهوت عقلانيـة رهيبة تتساءل عن المصير البشري فيقول في « طاحونة الموت » :

أكاد أحس انتهائي ، مـرارة موتي ، استحالـة عيني فحمه

نبوءات فكري الرهيف تشق الضباب •• ترى في دهاليز عتمه ••

تنفتح هنـا العين الثالثـة ـ عين الرؤيا ـ فترى ملايين الجثث وقد تناثرت دقيقا في طاحونة الزمن •• في سراديب الوجل • الفخ أبـدا ينتظر انسانا جـديدا ليوصله الى عالم غيهبي على جسر من الدماء •• القبر في دماء الانسان •• في توقعه للموت ، في رصده لاحساسه :

★ وينتصب القبر في عقدي السود •• طاحونتي حشرجات ، ونقمه ••

•• لماذا اذن استسف مصيري •• أنجم ••والموت في ضوء نجمه ••

انه يطلب من خالقـه أن يصرف احساسـه عن الموت ، انه يعرف أنه سيموت ولكن لا يريد أن يعرف متى •• كي يستمتع بأيامه ، بساعاته ، بدقائقه الباقية ••

★ انساننا قلق أمام هذه الحضارة الراعفة : القنبلة الذرية ، الصواريخ •• انه يرفض هذه الحضارةالمدمرة التي تقتل الروح ، يريد حضارة نقية معطاء ، فيهتف في وجه أرباب الحضارة في قصيدة : « توابيت الحضارة » :

أمجادكم هباء ••

خط الحياة في عرى قفازكم يموج بالمراره ••

★ ويقودنا الى الخلاص •• الى مدينته التي يحبها، وكيف يحبها ؟ وحشية السمات •• أبناؤها برابرة •• من جيل الرفض • يحبها جورية الرغـاب • تـزرع الحراب في قلب التنين • لا يريد لها أن تكون مغزوة تعج بالمساخـر ؟؟! تتـوه في مسـارب الضباب ؟؟ تعلك الحشيش لتنـام عـن أمجادها وتاريخها ويسهل فتحها واستعمارها •• وهـي : ملكيـة الشرق التي تمـوج بالمنائر ••

بالقوت •• بالحلي •• بالابكار لم يمسهن فاجر !

★ انها سـورية الحبيبـة تمور بالحياة دفقا •• لا تني تجيش بالفرسان !! انها عاصمة الامويين وملهمة النضال للشعوب العربية !! ولئن طاف بها « مركوبولو » يوما فسيرى أنها كما تقول الجنية التي تعرف الشرق الجديد : ـ قصيدة : فخاخ الشرق :

ـ مر أنو لك سوى أرض المعاد ••

وسواحل

صانها قدموس ، قرم الحرب

يوم الابيض المطروق أرباب تخاتل

وانتخى بالحرف وهاج المداد ••

★ ان « مركوبولو » يعود الى الغرب خائبا ، لانه لم ير الشرق كما أراد أن يكون :

أين •• أين الشرق ؟! لارق ولا غزو مفاخر ••

انه الشرق الجديد في بعثه وانعتاقه من الافيون والكسل الروحي •• انه شرق الفاتحين الجدد من أبناء المعرفة •• الشرق المنير لا شرق المساخر •• انه الشرق الذي يبني حضارته من جديد •• انه يتطور بعد سبات عميق •• وهنا يقترب الشاعر في هدفية القصيدة من الشاعر خليل حاوي في « نشيد الجسر » :

يعبرون الجسر في الصبح خفافا
أضلعي امتدت لهم جسرا وطيد
من كهوف الشرق ، من مستنقع الشرق
الى الشرق الجديد ••

* * *

* قالت فيه الاديبة غادة السمان : « بين التوبة والالحاد ، بين مهاوي الشهوة وقمم الزهاد ، تنوس أبيات انسان ما زال يبحث عن قضيته •• » يقول في توبة صوفية :

•• ومتى أتعب الهواء جناحيك
فغلي ما بين عيني وهدبي
غبت في مرصد التصوف آبادا
ولما أطللت •• عانيت ربي ••

لقد أضاع عمره في التصوف ولم ير الله ! ولما أطل الجمال استشف ما وراء هذا الجمال وابصر الله الذي خلق هذا الجمال ليعبد •• انها فلسفة صوفية •

* وقال فيه الشاعر مدحة عكاش : « ان موريس قبق في ديوانه الجديد ، يخطو بالشعر الحديث خطوات جريئة ان دلت على شيء فانما تدل على نزوع صادق نحو التجديد بالاضافة الى ما حمل الكلمة العربية من طاقات تنفجر بمعان جديدة •• » وهنا تثور ثائرة متأبطي كتاب « كروتشه » في النقد وتتهمه بأنه يركب المركب الصعب الخشن ، ويغوص في الغموض في بعض قصائده•• ماذا تريدون .؟!

ان زمن الكبار ومن يعدون نفسهم كبارا أفلت شمسه وكل من لا يتطور محكوم عليه بالموت ، ان فجر الشباب الاخضر بزغ ، وهناك أشرعة السياب ، والحاوي وخليل الخوري ، وموريس قبق منشورة الآن فوق البحار الزرق •• انهم طلائع النهضة الحضارية في شعرنا الجديد المعاصر ولينفلق المحنطون •• نريد شعراً صادقاً واحساسا راعفا ، وعصبا يفح بالثورة •• نريد عطاءات جديدة بكرا ، لقد سئمنا الاسماء الرنانة وهي تبلغ غاية شوطها •• « لتتفتح مئات الازهار » أفسحوا لها أيها المحنطون سبل التفتح •• ان جيل السمر يغزو القمة •• يحمل قضية عصره وتمزق انسانه !!

* وأخيرا اني أحمد للشاعر جهده الخاص في اخراج ديوانه الانيق على نفقته وأسجل له هذه البادرة التي تكمن فيها روح المغامرة •• وطوبى لمن يقرأ شعره في ديوان مطبوع قبل موته ••!؟

حمص ـ يوسف الحاج

جنة الأزهار
في وادي الورود في بلغاريا

عبر الاجيال الطويلة كان أمير يعيش سعيدا يملك جميع نعم الارض وقد منحته امرأته ابنة سماها ليلى كانت أجمل ما في مملكته •

بعد ان حارب الامير طويلا أعداءه تم له النصر وأراد أن يبني معبدا تقربا من الرب وليجد المؤمنون مكانا للعبادة •

ولهذا أحضر الامير جميع المحيطين به عارضا عليهم بناء هذا المعبد • تشاور الجميع فيما بينهم ولكن أحدا لم يجرؤ على الاقدام ويتحمل مسؤولية بناء هذا المعبد •

في أثناء الاجتماع هرب من السجان سجين مكبل بالحديد ومسربل بالثياب البالية ولكنه عالي القامة وسيم الطلعة • وقف السجين أمام الامير رافع الرأس وقال :

أنا ابني لك هذا المعبد •

أجاب الملك ساخرا أنت أيها المتمرد الحقير ستبني هذا المعبد •

تابع الامير ولكن ما اسمك •

أجاب السجين : اسمي نقولا •• المعلم نقولا •

وعد الملك نقولا بأن يعيد له حريته ويعطيه كيسا من الذهب وبأن يحقق له كل أمانيه اذا هم نجح واتم بناء المعبد وجعله بالصورة التي تليق بالرب •

أخذ نقولا يعمل •

لقد كان شابا وزادت فرحة الابداع من شبابه واعادت له جميع قواه الضائعة •

وعندما بدأ بناء المئذنة شاهد في ساة القصر ابنة الامير ليلى تسقي ورود حديقتها •• وكذلك شاهدت ليلى نقولا والتقت الاعين • واشتعلت جذوة الحب •• وأخذ العاشقان يتلاقيان بعد أن ينتهي نقولا من عمله في حديقة القصر • وتواعدا على الزواج وقال لها بأنه سيطلبها من أبيها عندما ينتهي من عمله نهائيا •

بدأ البناء يقارب الانتهاء والعاشقان ينتظران الفرصة ولكن الوشاة لاحظوا العلاقة بين العاشقين فذهبوا الى الملك وقصوا عليه أمرهما •

تكدر الملك وبيت الشر لنقولا وقرر اعادته الى السجن فور اقامة بناء المعبد •

علمت ليلى ما يبيت أبوها الى حبيبها فساعدته على الهرب ولكنها أبت أن تهرب معه لئلا تعيقه وأرغمته على الذهاب وحيدا لينقذ حياته •

أعطت ليلى حبيبها وردة من الحديقة ورجته أن يغرسها بوطنه كذكرى لحبهما •

شربت ليلى السم • وبكت عندما شعرت باحتضان الموت وعندما اطمئنت على حبيبها الراحل ، مبتعدا بحصانه تاركا لها آخر آهة •

عندما وصل نقولا الى وطنه غرس الوردة في حديقته بوادي التوندجا قرب مدينة كازانليك •

وهكذا قدمت ملكة الورود الى بلغاريا •

يعيش بقرب الوردة ورود أخرى لها قصص موغلة بالقدم فيحكى أن افروديت قد تحولت الى وردة لتغري ابولون في ليسبوب •

وكذلك سوفو بقي يحتفظ بذكرى انكريون حتى آخر أيامه ويحكى أن درويشا حمل الى بلغاريا زهرة دمشق •

ولكن أجمل وردة في مملكة الزهور هي مثل ما سماها الكاليدرون : زهرة عاش أو زهرة شاعر •

والمعلم نيقولا كان شاعرا وعاشقا وزرع وردته في واد يعتبر سجن جنة الارض •

ان الوردة أو ليفير (روزا) تنبت في تركيا وفي الجزائر أيضا ولكن أريجها لا يمكن أن يعادل رائحة الوردة المزروعة في بلغاريا يوجد كثير من الورود أجمل من وردة بلغاريا ولكن ليس لهن رائحتها وقدرتها على الاحتفاظ بتلك الرائحة الراسخة زمنا طويلا بعدقطفها • ان كأسها ذو الاوراق المتعددة هو مصدر تلك الرائحة الاخاذة •

ولكن لماذا تملك وردة الكازانليف هذه الخصائص والجواب لانها تنبت على أطراف سلسلة البالكان وكتلة سيرد ناجورا وخاصة على طول سواقي سترينا وتوندجا ان قمم البالكان تحمي الوادي من الرياح الباردةالشمالية ولذلك فالجو في وادي الورود لطيف شتاء معتدل صيفا وهذا الجو يلائم جدا الورود •

ان زهرة الاوليفير البلغارية ليست حمراء كباقي الورود ولكنها بلون الشفق ويوجد أيضا زهرة أوليفير بيضاء ولكنها أقل رائحة وأقل عطرا • ان الوردة تبلغ أحيانا المترين طولا وكأسها يحمل خمس أوراق وعديدا من التويجات • وعلى الغصن يمكن ان نجد ١٨ وردة • وتعيش الوردة حوالي ١٥ عاما • وتقطع من قرب الجذر لتعيش ثانية أو تقلع ليزرع مكانها واحدة أخرى •

وعندما تبدأ الورود بالتفتح يخيل الينا بأن اخضار الارض قد زال تاركا مكانه سحابة وردته تغطي الوادي•

ان صناعة العطور في بلغاريا ترجع الى زمن بعيد • ولكن في أوائل هذا القرن أخذت هذه الصناعة تتبلور وتقوم الآن على أحدث الاسس •

ان الورود تفطر في يوم قطافها وتوضع في مقطرات تتسع من ال ٢٠٠٠ الى ٦٠٠٠ ليترا • ان التويجات توضع في الانابين ويوضع عليها الماء وتغلى جيدا وتعدل الحرارة بالشكل اللازم بمعرفة خبراءمخصوصين للحفاظ على نقاوة العطر •

وأخيرا تجرى عليها عمليات كيميائية لتخليصها من الشوائب ويبقى العطر الصافي ••

لاجل الحصول على كيلو غرام واحد من هـذا العطريلزم ٣،٨٠٠،٠٠٠ زهرة وزنها حوالي ٣٠٠٠كغ وعلى ذلك يمكننا القول بأن كمية القطر الموجودة في زهرة واحـدة هي في منتهى الصغر حتى لا تكاد تزن شيئا وحتى انها أصغر من أصغر ذرة غبار •

ان هذه القطرات تدخل في تركيب أجود أنواع العطور المصنوعة في الاتحاد السوفييتي وفرنسا والولايات المتحدة وفي هولاندا وفي سويسرا وفي ألمانيا الديمقراطية وغيرها •

ونظرا لجودة العطر البلغاري عسير أن نجد لـه منافسا في الاسواق العالمية ••

وأريد أن أنهي هذا البحث بكلمات عن قطاف هذا الورد من الممتع أن ننشق عبير هذا العطر الموجود في الزجاجات الصغيرة ولكن من الممتع أكثر الذهاب الى كارلوف وكالوفير في نهاية شهر أيار وأوائل حزيران عندما يكون الوادي مغطى بالازهار ان القطاف يكون بين الساعة الرابعة والتاسعة من صباح كل يوم •عندما يذهب القطافون والقطافات يكون الليل لا يزال سادرا وعندما يبدأ الافق يظهر وتأخذ البلابل بالتغريدوالعصافير بالغناء ونبدأ بتميز الشفق تظهر السماء عمرة من الشرق ويصبح صوت العصافير أكثر فرحا تسمع صوت البراعم وهي تتفتح • وعندما تبدأ الشمس بالظهورتصبحالحدائق ملآى بالازهار التي تأخذ بالتفتح الواحدة تلو الاخرى • تبدأ أيدي القطافين بالعمل جارين من زهرة أسى أخرى ليملؤوا أكياسهم البيضاء •

ويبقى العبير محيطا بأشجار التفاح والدراقوالجوز المفتحة وترن أصداء ضحكات الشباب والشابات لتمتزج مع تباشير الصباح •

في الربيع أن وادي الورود يصبح شاعريا وجميلا لدرجة يستحق ان نسميه

جنة الله في الارض •

هنغاريا تحيي الشعب السوري في عيده القومي الكبير

ان الشعب الهنغاري يقف بجانب الشعب السوري ضد الاستعمار والاعيبه لانقاذ الحرية المبنية على كثير من المعارك والآلام ٠

ان شعب الجمهورية الهنغارية يحيي بصداقة وود الشعب السوري بمناسبة عيده القومي الكبير السنوي بمناسبة تحرر البلاد من الاجنبي ٠ هذا العيد الذي هو حصيلة معارك بطولية نالت اعجاب جميع البلدان المحبة للحرية ٠

في تاريخ سورية والمجر كثير من الخطوط المشتركة في محاربة الاستعمار ٠ ان الشعبين الصديقين لاقيا نفس الآلام من الاستعمار الاجنبي ٠ ان تاريخ الشعب العربي مليء بالملاحم البطولية ولم تلن قناته أمام الاستعمار في يوم من الايام ٠ وكان سلاحه مشهرا دوما في وجه المغتصبين وكذلك تاريخ الشعب الهنغاري الحديث ـ تاريخ المعارك ضد التوسع الالماني ٠ ولكن العقلية النازية والاستعمار استطاعا أن يجرا المجر الى حربين عالميتين بدون ارادة الشعب وفائدته وخاصة الحرب العالمية الثانية التي جرت على الشعب المجري كثيرا من الويلات ففي هذه الحرب خسرت المجر ٥٪ من عدد سكانها ٠

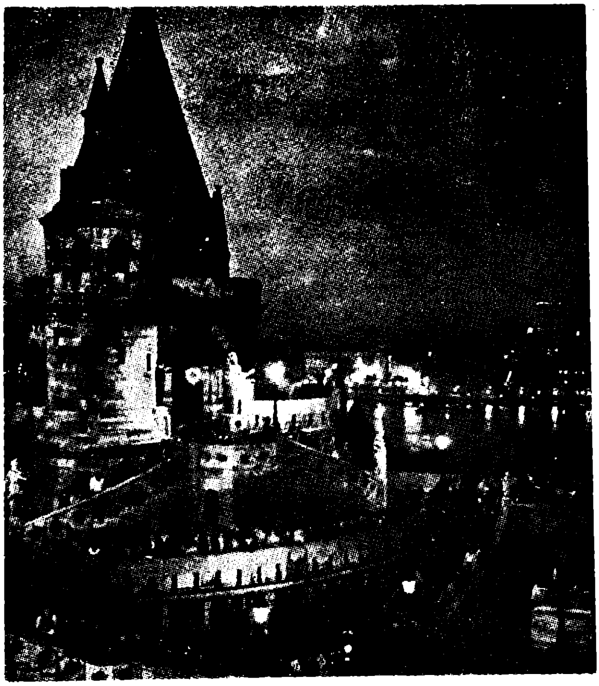
ان عشرات الالوف من شباب هنغاريا فقدوا حياتهم في معسكرات اعتقال النازية وفي غرف التعذيب عند الغستابو ٠

وأنهار الاقتصاد الهنغاري وتبخر ٤٠٪ من الثروة القومية ٠٠

ان بودابست ـ عاصمة هنغاريا ـ المعروفة بجمالها والمسماة ـ ملكة الدانوب ـ تهدم معظم مبانيها في هذه الحرب والذي زار بودابست قبل الحرب يعرف تماما الجسور الثمانية التي تصل بين قسمي المدينة ٠ والتي تعتبر آية من آيات الفن والابداع ٠ ان هذه الجسور المبنية بعرق الشعب في الاجيال الاخيرة أصبحت أثرا بعد عين شاهدة على جرائم النازيين ٠٠

ان هنغاريا مهددة بالمؤامرات الاستعمارية ومن أعداء الشعب الهنغاري ٠

ان المستعمرين والرجعيين والاحلاف العسكرية قد اتحدوا لتهديد أمن البلاد ٠



سور الصيادين في بودابست
حيث تقام المسارح الغنائية في الهواء الطلق

ان جميع أعداء الشعب من نازيين مطرودين وفولسكسيديست ومنظمات سرية وجدت في حلف الاطلسي ومؤيديه مرتعا لقلب الثورة والقضاء على الاشتراكية واعادة النظام النازي والرجعي ان المئات من النازيين الهنغاريين اللاحقين في هنغاريا يعيشون في الغرب ويلقون الكثير من المساعدة ٠ ان أكبر النازيين الهنغاريين المسؤولين عن المذابح المجرية ومدبري جرائم النازية هربوا الى الغرب ليتمرنوا على شن احقاد أخرى نحو المجر ٠ وفي نفس الوقت يشغلون مناصب هامة في القوات المحتلة ٠

بعض البلدان الاوربية الغربية على سبيل المثال ٠ أصبحت ليس فقط مركزا للنازيين الهنغاريين وانما مركزا للتجسس ، مركزا لتآمر المجرمين النازيين من قواد هتلر في هنغاريا المحتلة والمسؤولين عن المذبحة الغير انسانية ٠٠

ان الشعب الهنغاري مثل الشعب السوري يعتبر منضما مع البلدان الحرة ضد المؤامرات الاستعمارية والاشكال الجديدة لها ٠

ان الشعوب الحرة لا تسمح للاستعماريين بفرض مخططاتهم الاستعمارية ٠٠

ان العارفين كما يعرفون المجال الحيوي يعلمون ان المبعوثين والمشجعين من قبل بعض الاوساط الاستعمارية لا تنطلي الاعيبهم بعد اليوم على شعب من شعوب العالم ٠

وقد انتهزت صحافة هنغاريا فرصة احتفالنا بأعياد الجلاء ، وراحت تتكلم عن المشاريع التي تقوم بها الايدي الهنغارية في الجمهورية العربية السورية ، ومن أولياتها ذلك الجسر الذي أقيم للخط الحديدي عند سد الرستن، بطول ٤٤٠ مترا وعرض ٦ أمتار وعلو ٢٠ مترا ، وهو الذي يختصر المنعطفات التي كان يسير عليها الخط الحديدي سابقا ، ومن المقرر أن يصبح الجسر صالحا للعمل في نهاية هذا العام ٠

ثم ان مشروع الهاتف الذي هو من أعظم المشاريع في الجمهورية العربية السورية ، سيؤدي الى استجابة سؤال المواطنين ، فهو بعد أن باشرت المؤسسات الهنغارية بتنفيذه ، سيرتفع أعداد الهواتف من ١٦ الف هاتف الى ٢٤ الف خط ، وذلك بعد أن يتم تركيب عشرة آلاف خط في شهر حزيران القادم ٠

وهناك الى جانب كل هذا مشاريع متعددة قد أخذت المؤسسات الهنغارية على عاتقها تنفيذها ، وفي مقدمتها الكراكات أو آلات رفع الاثقال ، من وزن مائة طن ، وهي تعمل على الديزل الكهربائي ، وساحبات البواخر ، ومشاريع بناء المصحات في كل من الحسكة والرقة ٠

أما الطلاب العرب من سورية فانهم يدرسون باعداد لا بأس بها في جامعات هنغاريا ، وهم يشكلون نواة طيبة يمكنها أن تعود في القريب العاجل لتسهم في بناء الجمهورية وفي اندفاعها نحو الامام ٠

فن النجاح

للاستاذ

وجيه بيضون

الفهرست

مطبعة الجمهورية بدمشق

سعر النسخة (١٠٠) ق.س